ومضات وأبيات

من حياة الشيخ

عبد الله بن عبد المحسن الفريح

(١٣٤٠هـ - ١٤٢١هـ)

تأليف

بشير بن عبد الله الفريح

ومضات وأبيات

من حياة

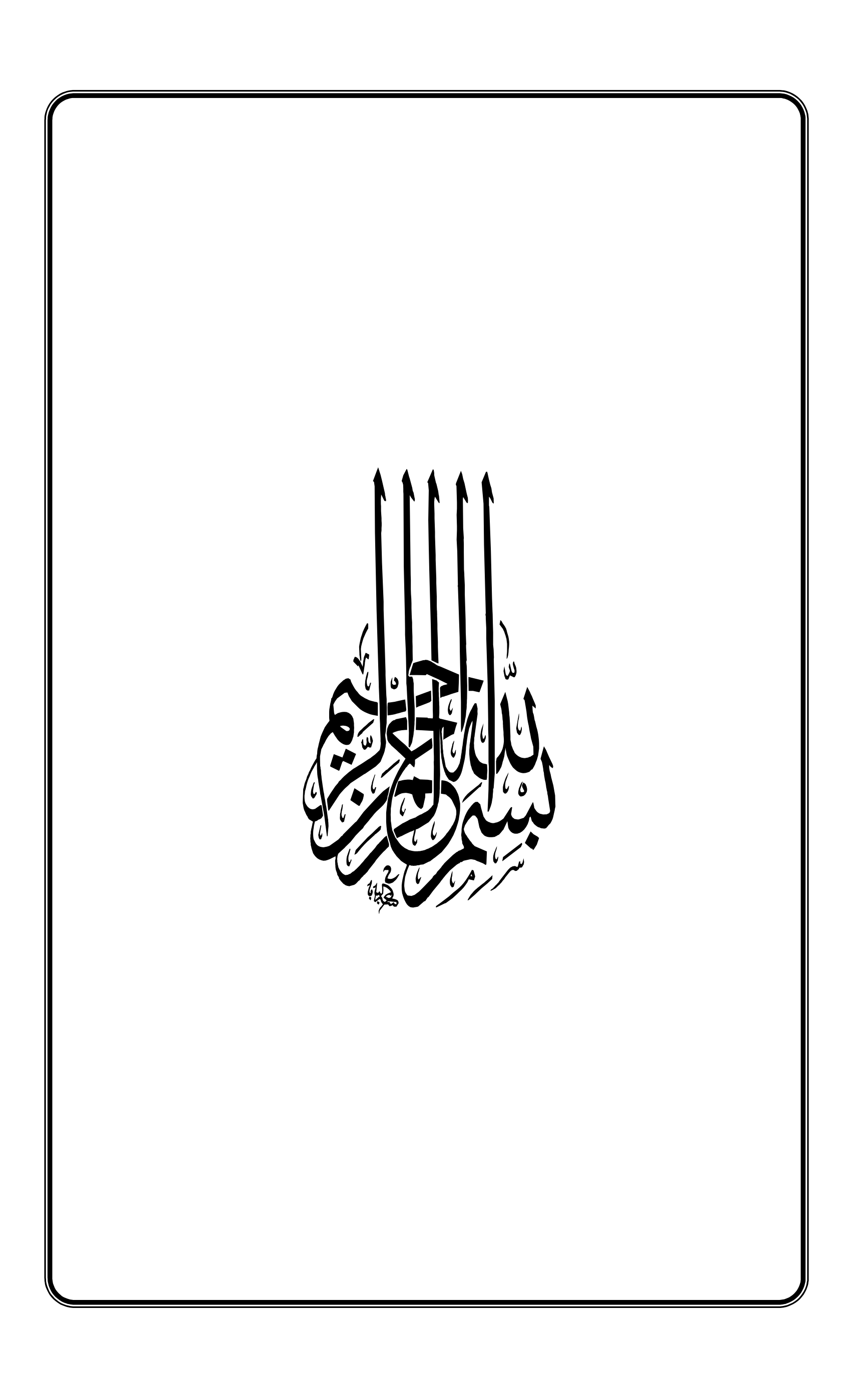
الشيخ عبدالله بن عبدالمحسن الفريح

(١٣٤٠هـ - ١٤٢١هـ)

تأليف

بشير بن عبدالله بن عبدالمحسن الفريح

١٤٣٠هـ



الإهـــداء

إلى من حملتني بين جنـبيـها أشهراً

ثم حضنتني بين ذراعيها سنيناً

ولا تزال ترعاني بعطفها ودعائها

إلى والدتي الغالية..

موضي بنت صالح بن شايع الصالحي

أهدي هذا الكتاب

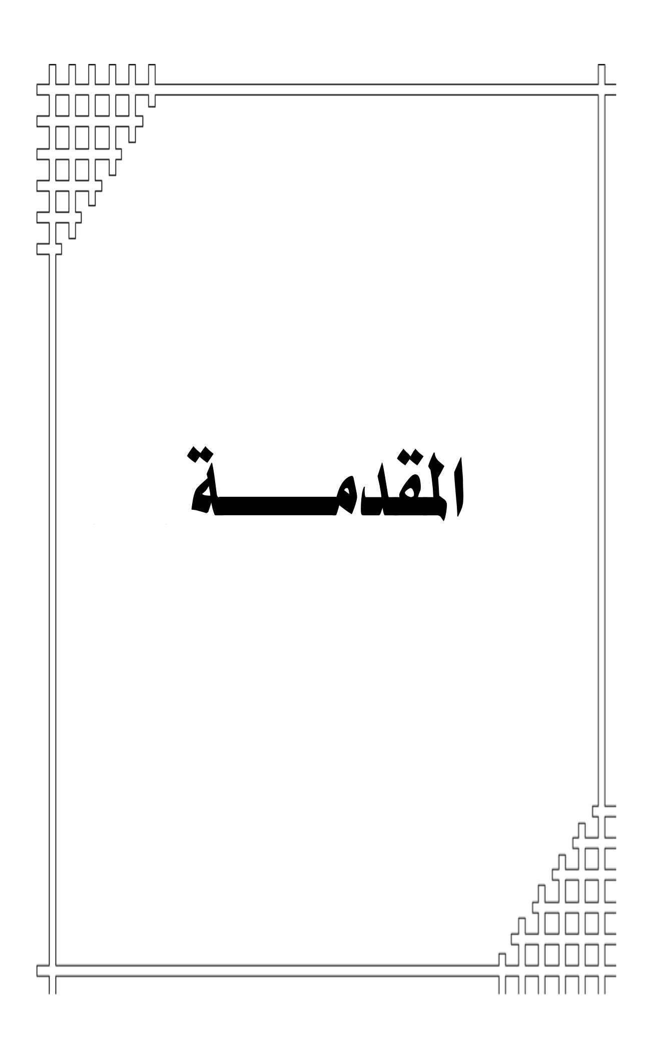


شكر وتقدير

شكر وتقدير

بعد شكر اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ . . .

أتقدم بالشكر الوفير والامتنان والتقدير لكل من ساعدني في إخراج هذا الكتاب من الإخوة والأخوات والأقارب والأصدقاء، وأخص من بين أولئك أخي الدكتور صالح الذي وقف معي منذ البداية وشجعني على المضي بهذا العمل حتى النهاية، فكان يساعدني ويزوّدني بما أطلبه وأحتاجه، وحين انتهى الكتاب تبرع مشكوراً مأجوراً -إن شاء اللّه- بطباعته على حسابه الخاص فجزاه اللّه كل خير. وله مني كل الشكر والتقدير.



المقدمــــة

المقدمـــــة

في شهر ربيع الأول من عام ١٤٢١هـ وقبل وفاة والدي ~ بفترة قصيرة طلبتُ منه أن يملي عليّ ما يذكره من قصائده وذكرياته، ومن الأحداث المثيرة التي مرّت به على مدى عمره المبارك، وأخذت أكتب شيئاً منها في أوقات متفرقة ولكنني لم أحظَ بالكثير، فقد جاء أجله وحانت منيته، ليفارقنا على عجل ويرحل عنا فجأة، فكأن السنوات ليالٍ بل كأنها لحظاتٌ عشناها معًا، ثم جاء الفراق، ولسان الحال:

قصُرتْ مع الأحباب وهي طويلةٌ

فكأنما الساعاتُ بضع ثواني

ولكـن رغـم ذلـك لم أتوقـف عـن جمـع آثـاره وأخبـاره وأشـعاره، وقصـصه الفريـدة وذكرياتـه البعيدة، وما مر عليه من المواقف المهمة.

وقـد بـدأت بجمـع هـذا الكتـاب قبـل وفاتـه بأسـابيع وانتهيـت منـه بعـدها بـسنوات، بـذلت في هـذه الفترة ما استطعت من جهد ليخرج هذا العمل كما هو بين يدي القارئ الكريم.

وهـذا الكتـاب هـو سـيرة شخـصية وحكايـة تاريخيـة، فيـه قـصة حيـاة والـدي ~ كمـا سمعتهـا منـه، وكمـا عرفتهـا -مـن بعـده- عنـه، وأحـداثها كثيرة ولا تكـاد تنتهـي، حـدثني بهـا وشـهدت بنفسي بعضها، وقـد مُلئـت حياتـه بالأحـداث العجيبـة والمواقـف العـصيبة الـتي تـرى فيهـا العِبر، وتـستنبط منهـا الـدُرر والدروس المفيدة.

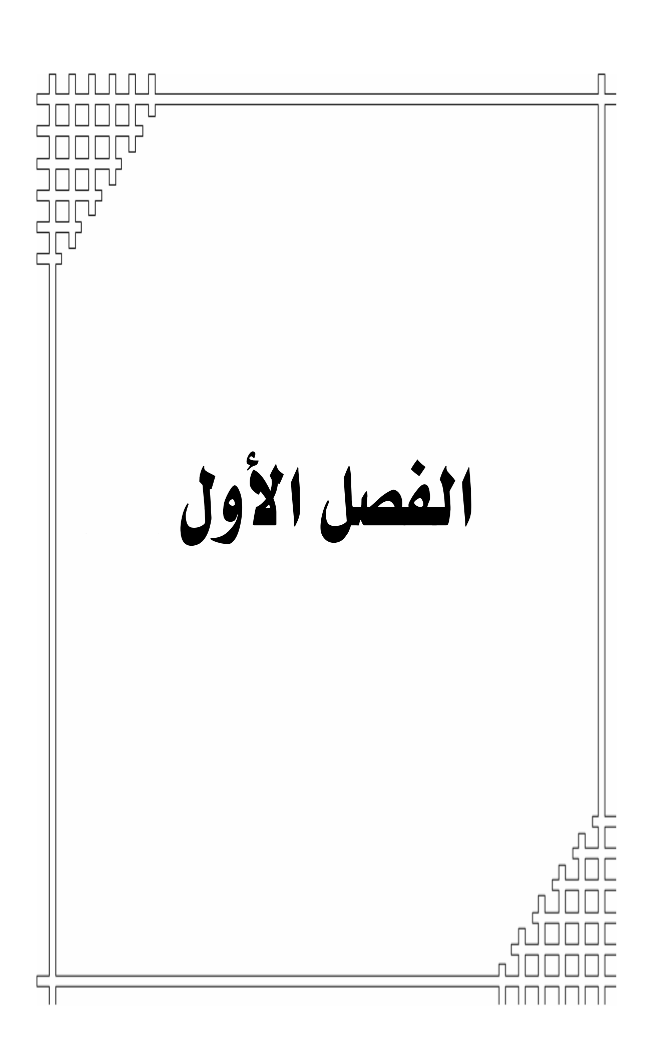
سأتحدث في هذا الكتاب عن اسمه ونسبه وأسرته، وعن مولده ونشأته وتعليمه، وعن رحلاته وصفاته الشخصية، وعن جوانب أخرى عديدة في حياته.

وقد جمعتُ في هذا الكتاب قصائده التي تصور جانباً من حياته وتجربته، وفي شِعره موضوعات متنوعة بين وعظ ورثاء وتجربة وثناء ووصف وغيرها، وهو من الشعر الشعبي العامّي، وقد لا يتذوقه من لا يجيد قراءة هذا اللون من الشعر.

إن توثيقي لحياته يأتي في سياق حفظ التاريخ المشرق للآباء والأجداد الذي أحاول أن أقدم فيه ما أستطيع، ليطلع عليه الأبناء والأحفاد من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة، وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل وأن يأجرنا على جهدنا فيه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مكة المكرمة - في ١٤٣٠/١/١هـ .



الفصل الأول

الفصل الأول:
حيــاتـــه

اسمه ونسبه وأسرته:

هو أبو محمد عبدالله بن عبدالمحسن بن محمد بن فريح (الفريح) بن فواز بن حمد بن فواز بن سُلْمي من بني العنبر من بني عمرو بن تميم.

وتنتسب أسرته (الفريح) إلى فريح بن فواز[1]، وكان والده فواز بن حمد[2] هو أول من قدم إلى البكيرية من أجدادنا، وذلك حين نزح عن مدينة قفار[3] بمنطقة حائل، وذلك في عام ١١٨٠هـ تقريباً،

---

(١) توفي في البكيرية عام ١٢٧١هـ.

(٢) توفي في البكيرية عام ١٢٢٦هـ.

(٣) قفار: مدينة تقع على بعد ١٢ كلم إلى الجنوب من حائل، وقد كانت حاضرة المنطقة وعامرة بالبطولات والأمجاد، وقد أدت الحروب الطاحنة وما تلاها من انتشار الحمى الرهيبة المعروفة بحمى قفار إلى تفرق أهلها =

وكان الجد فواز ضمن وجهاء البلد الذين ذهبوا لشراء واحة البكيرية من مالكها محمد البكيري ساكن عنيزة.

- - - - - - - - - - - - - -

= وهجرة الكثير منهم عنها، فانهارت بذلك أكبر حاضرة عرفتها تلك المنطقة.

والده: هو الشيخ المُحدّث عبدالمحسن بن محمد الفريح[1]، ولد في البكيرية عام ١٢٩٢هـ وفيها نشأ وتعلم القراءة والكتابة على يد والده

- - - - - - - - - - - - - -

(١) ترجم للجد الشيخ عبدالمحسن عدد من المؤلفين منهم:

١- الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسّام، في كتابه [علماء نجد خلال ثمانية قرون] ج٥، ص٣٠ إلى ص٣٥. ط٢.

٢- الشيخ صالح بن سليمان العُمري، في كتابه [علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم] ج٢ ، ص٣٨٧و٣٨٨ .

٣- الشيخ محمد بن عثمان القاضي، في كتابه [روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين] ج٣ ، ص ١٩٢و١٩٣و ١٩٤. ط١.

٤- الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، في كتابه [علماء الحنابلة] ص٤٧٧.

٥- الشيخ صالح بن عبدالعزيز الخضيري، في كتابه [البكيرية، تاريخها وجغرافيتها ورجالاتها].

٦- الأستاذ صالح بن عطا الله الخزيم، في كتابه [البكيرية] ص٤٧.

٨- الدكتور عبدالعزيز بن محمد الفريح، في مجلة العرب، ج٧، ٨ س ٢٩ - محرم/ صفر ١٤١٥هـ.

الشيخ محمد[1]، ومكث في البلد يتعلم أسس العلوم ومبادئها حتى بلغ الخامسة عشر من عمره، ثم ارتحل إلى المِذنَب عام ١٣٠٨هـ لطلب العلم على الشيخ عبدالله بن دخّيل[2]، وبقي هناك أحد عشر عاماً يطلب العلم وينهل من معينه، وفي عام ١٣١٩هـ عاد إلى البكيرية وأخذ يتنقل بينها وبين بريدة ليقرأ على العلماء هناك،

---

(١) هو الشيخ محمد بن فريح بن فواز آل سُلْمي، توفي في البكيرية عام١٣٢٢هـ، كان من وجهاء البكيرية وأعيانها، ومن طلاب العلم المتميزين، وكان يكتب لأهل البلد ويدوّن لهم ما يحتاجون كالوصايا والأوقاف، وهو أول من أَمّ المصلين في الجامع الكبير بالبكيرية والذي تم بناؤه عام ١٢٩٢هـ، كما أَمّهم قبل ذلك في مسجد الخزيم.

(٢) الشيخ عبدالله بن محمد بن عثمان بن دخيّل التميمي، ولد بالمجمعة عام ١٢٦١هـ، طلب العلم على الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وعلى ابنه الشيخ عبداللطيف وعلى الشيخ سليمان بن مقبل والشيخ محمد بن سليم، تولى قضاء المذنب عام ١٢٩٠هـ، وقام بالإفتاء والتدريس فيها حتى وفاته عام ١٣٢٤هـ، انظر: علماء نجد، عبدالله البسام، ص٤٩٠، ج٤، ط٢.

وكـان مـن أبـرز مـن قـرأ علـيهم في بريـدة الـشيخ محمد بن سليم[1].

ثـم انتقـل إلى الريـاض عـام ١٣٢٣هـ ليطلـب العلـم علـى عـدد مـن العلمـاء هنـاك مـنهم: الـشيخ عبـداللّٰه بـن عبـداللطيف[2] والـشيخ إبـراهيم بـن عبـداللطيف[3]

---

(١) الشيخ محمد بن عبدالله بـن حمـد بـن سـليم، ولـد في بريـدة عـام ١٢٤٠هـ، انتقل إلى الرياض وطلـب العلـم فيهـا عـلى عـدد مـن العلـماء مـنهم الـشيخ سليمان بن مقبل والشيخ عبدالله أبـا بطـين، أصـبح لاحقـاً مـن كبـار علـماء القصيم، تـوفي في بريـدة عـام ١٣٢٥هـ، المصدر الـسابق، ص١٥٠، ج٦، ط٢.

(٢) الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بـن عبـدالرحمن آل الـشيخ، ولـد في الهفـوف عام ١٢٦٥هـ، كان كبير العلماء في عصره، صـاهره الملـك عبـدالعزيز حـين تزوج ابنته التي أنجبـت الملـك فيـصل، انظـر: المـصدر الـسابق، ص٢١٥، ج١، ط٢.

(٣) الـشيخ إبـراهيم بـن عبـداللطيف بـن عبـدالرحمن آل الـشيخ، تـولى قـضاء الرياض عام ١٣١٩هـ، وهو والـد سماحـة الـشيخ محمـد بـن إبـراهيم، تـوفي عام ١٣٢٩هـ. انظر: المصدر السابق، ص٣٤٠، ج١، ط٢.

والشيخ حسن بن حسين آل الشيخ[1] والشيخ حمد بن فارس[2] ، فدرس في علوم عدة وتبحر فيها ولكنه شغف بالحديث النبوي الشريف وأحب حفظ السنة المطهّرة، فكان يحفظ الكتب الستة[3] عن ظهر قلب، ومن محفوظاته أيضاً كتاب منتقى الأخبار للمجد ابن تيمية[4]، وكذلك بلوغ المرام .. والعمدة[5].

- - - - - - - - - - - - - -

(١) الشيخ حسن بن حسين بن علي آل الشيخ، تولى قضاء الأفلاج ثم سدير ثم الرياض، قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم "إنه فقيه علماء الدعوة"، توفي في الرياض عام ١٣٠٨هـ. انظر: المصدر السابق، ص٢٨، ج٢، ط٢.

(٢) الشيخ حمد بن فارس بن محمد بن فارس التيمي الربابي، من كبار علماء الرياض في وقته، عكف على التدريس في مسجد عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بحي دخنة بالرياض، توفي سنة ١٣٤٥هـ، انظر: المصدر السابق، ص٩٧، ج٢، ط٢.

(٣) الكتب الستة هي: صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص٣١، ج٥، ط٢.

(٥) انظر: روضة الناظرين، محمد القاضي، ج٣، ص١٩٣، ط١.

وكـان ~ مـن العلمـاء الأجّـلاء[1]، وقـد قـام بالــدعوة والإرشــاد في أول تــوطين الباديــة قبــل عــام ١٣٤٠هـ، ثم عُيّن إماماً وخطيباً ومرشـداً لبني عبدالله مـن مطـير في هجـرة العَمَـارْ[2] حتـى عـام ١٣٤٦هــ، ثـم انتقـل إلى جـامع الهلاليـة إمامـاً وخطيبـاً ومدرسـاً وذلـك عام١٣٥٥هـ.

كانت له جهود كبيرة في الدعوة و نشر العلم، وقد درس على يده جمع من طلبة العلم من أبـرزهم ابنـه الشيخ محمد (رئيس هيئـة الأمـر بـالمعروف بالبكيريـة) والـشيخ إبـراهيم بـن صـالح العـواد(أمـير الهلاليـة)،

- - - - - - - - - - - - - -

(١) انظر: علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم، صالح العمري، ج٢، ط١، ص٣٨٧.

(٢) العمار من مراكز منطقة القصيم، وتقع على بعد ٤٠ كلم من محافظة المذنب وتبعد عن بريدة ١٠٠ كلم جنوباً، يبلغ عدد سكان العمار أكثر من (٦٠٠٠) نسمة حسب تعداد عام ١٤٢٨هـ، وينتمي أغلب سكان مركز العمار إلى ذوي عون من بني عبدالله من قبيلة مطير .

والشيخ علي بن فرّاج العقلا (عضو هيئة الأمر بالمعروف بمكة) والشيخ صالح بن إبراهيم الحميدان (تولى الإمامة والخطابة في جامع الهلالية بعد شيخه)، والشيخ محمد بن عبدالعزيز الدريبي (وكيل وزارة الداخلية للشؤون الأمنية سابقاً) وغيرهم من المشايخ وطلبة العلم.

قال عنه فضيلة الشيخ عبدالله البسّام: ".. ثم إن المُترجَم اعتزل الناس، وانصرف إلى العبادة والعلم والإفتاء والتدريس، ولِمَا عرف عنه من الزهد والعبادة وسعة العلم، فقد كان له محبة ومودة عند علماء الرياض وعلماء القصيم، فكان الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ[1] يقصده في بلدته للأنس به والجلوس معه،

---

(١) هو الشيخ عمر بن حسن بن حسين بن علي آل الشيخ، تولى رئاسة هيئة الأمر بالمعروف بنجد والمنطقة الشرقية عام ١٣٤٥هـ، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته في الطائف عام ١٣٩٥هـ، انظر: علماء نجد، عبدالله البسام، ج٥، ص٣١٠، ط٢.

وكانوا يرغبون منه الحضور إليهم في الرياض، إلا أنه بعد استقراره الأخير في بلده صار لا يرغب الاختلاط والاجتماع، وإنما أنسه تلاوة القرآن ومطالعة الكتب والعبادة"[1]

وقال عنه الشيخ محمد بن عثمان القاضي:".. اشتهر بورعه وزهده وكان كثير التلاوة والذكر لا يفتر لسانه منه، وكان يحفظ بلوغ المرام والمنتقى والعمدة.. وكان إمام الجامع بالهلالية وخطيبه والمرشد فيه، وبرع في علم الفرائض وحسابها وله في التاريخ والسير والمغازي صولات وجولات.. وكذا هو المرجع في الأنساب للقبائل والمطالع وعلم الفلك.. وتبحّر في علم الحديث ورجاله، ومجالسه ممتعة ومحادثاته شيّقة.. فلقد كان آيةً في العلم والعمل.. "[2]

- - - - - - - - - - - - - -

(١) انظر: المصدر السابق، ج٥، ص٣٣، ط٢.

(٢) انظر: روضة الناظرين، محمد القاضي، ج٣، ص١٩٣و١٩٤، ط١.

وقال عنه الشيخ صالح بن سليمان العُمري:".. اجتمعَتُ به أكثر من مرة في الهلالية وأعجبت بعلمه وعقله وزهده، وعجبت كيف يُترك مثل هذا العالم الكبير بدون عمل يليق بعلمه، حتى علمت أخيراً أن المناصب عرضت عليه إلا أنه رفضها"(١).

وعندما بلغ الشيخ عبدالمحسن السابعة والثمانين من عمره رأى في منامه رؤيا مبشّرة، وهي أن رجلين أتياه وطلبا منه أن يرافقهما للسلام على النبي ﷺ، فقام معهما، فذهبا به إلى مقبرة البكيرية، فلما استيقظ علم من الرؤيا قرب وفاته.

---

(١) انظر: علماء نجد، عبدالله البسام، ج٥، ص٣٣، ط٢.

وبعـد أن صـام رمـضان وسـتاً مـن شـوال أُصـيب بمـرض في بطنـه، وكـان المـرض شـديداً فلـم يمهلـه، فمـــات ~ مبطونـــاً -نـــسأل الله أن يكتبـــه في الشهداء- وكـان ذلـك يـوم الثلاثـاء ١٧ شـوال مـن عـام ١٣٧٩هـ.

فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.



أما والدة الشيخ عبدالله فهي سارة بنت علي بن صالح العوّاد الطائي من قبيلة قحطان، ولدت في عام ١٣٠٠هـ، وكانت من خيرة نساء عصرها وممن عرفن بالفضل والتقوى وطيب الأخلاق وحسن التربية، وكان لها تأثير كبير وعناية فائقة بأبنائها وبناتها.

وكانت تخلف زوجها أثناء رحلاته الكثيرة في طلب العلم وتتولى شؤون الأسرة بكاملها، توفيت (رحمها الله) في البكيرية يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر رجب من عام ١٣٧٩هـ.

أما أخوه فهو الشيخ الوجيه المؤرخ النسّابة محمد ابن عبدالمحسن بن محمد الفريح، ولد في شهر ربيع الأول من عام ١٣٣٠هـ ونشأ في البكيرية وتعلم بها، فقرأ القرآن على الشيخ محمد بن محمود[١]، وأخذ عن والده الشيخ عبدالمحسن علم الفرائض والأنساب، ولازم مجالس الشيخ القاضي محمد بن مقبل [٢]، كما لازم مجالس الشيخ القاضي عبدالعزيز السبيّل[٣]، وكان من خواصه الذين يستشيرهم في

---

(١) الشيخ محمد بن محمود آل سَلْمي، توفي في البكيرية عام ١٣٧٣هـ.

(٢) الشيخ محمد بن مقبل بن علي بن مقبل، تولى قضاء البكيرية عام ١٣٤٧هـ، ودرس عليه الكثير من علماء القصيم والبكيرية خاصةً، توفي عام ١٣٦٨هـ، انظر: علماء نجد، عبدالله البسام، ص٣٨٤، ج٦، ط٢.

(٣) الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد السبيّل، تولى قضاء البكيرية عام ١٣٦٠هـ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة عام ١٣٨٦هـ وقام في التدريس في الحرم المكي الشريف حتى عام ١٣٩٨هـ، توفي في مكة المكرمة عام ١٤١٢هـ، انظر: المصدر السابق، ص٤٦٧، ج٣، ط٢.

كثير من الأمور، وكان الشيخ عبدالعزيز كثيراً ما يثني على فقهه وذكائه وفطنته وعلمه.

وقد استفاد ~ فائدة عظيمة من مطالعته لكتب الفقه والحديث والتاريخ والأدب، وأفاد من مكاتباته العديدة لسماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم [1]، ورئيس مجلس القضاء سماحة الشيخ عبدالله بن حميد[2]، وسماحة المفتي العام للمملكة

---

(١) الشيخ العلامة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ، كان له دور كبير في نشر العلم الشرعي وتطوير القضاء وهو أول رئيس للقضاة، توفي عام ١٣٨٦هـ، انظر: علماء نجد، عبدالله البسام، ص٢٤٢، ج١، ط٢.

(٢) الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن حميد، تولى قضاء الرياض عام ١٣٥٧هـ وعمره آنذاك ثمانية وعشرون سنة، ثم تولى قضاء سدير ثم قضاء القصيم، ثم تولى رئاسة مجلس القضاء، توفي في الطائف عام ١٤٠٢هـ، ودفن بمكة المكرمة، انظر: المصدر السابق، ص٤٣١، ج٤، ط٢.

الشيخ عبدالعزيز بن باز[1] ، وله مراسلات كثيرة مع الشيخ حمد الجاسر[2] ومباحثات في التاريخ والأنساب وغيرها ، كما استفاد من مجالسته لخواص الناس من أعيان الحاضرة وأمراء البادية الذين كانوا يأنسون به ويكثرون التردد عليه لكرمه وعلمه وأدبه ، وقد كان له تقدير كبير ومحبة ظاهرة في نفوس الناس عامة ، وجنازته المهيبة تشهد بذلك فقد حضرتها جموع غفيرة ملأت الجامع الكبير فصلى الناس خارجه رغم

---

(١) الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن ابن باز، تولى رئاسة الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٠هـ، ثم عُين رئيساً لإدارت البحوث العلمية عام ١٣٩٥هـ، ثم أصبح المفتي العام للديار السعودية حتى وفاته عام ١٤٢٠هـ.

(٢) الشيخ حمد بن محمد بن جاسر، من بني علي من قبيلة حرب، ولد سنة ١٣٢٨ هـ، طلب العلم في الرياض ثم انتقل إلى مكة، لُقّب بعلامة الجزيرة، وكانت له جهود علمية في التاريخ والآثار واهتمام كبير بالأنساب، أصدر جريدة اليمامة ومجلة العرب، توفي عام ١٤٢١هـ.

قصر الوقت بين وفاته والصلاة عليه، فقد توفي قبيل المغرب وصلي عليه بعد صلاة العشاء مباشرة.

وكذلك كانت له مكانة عظيمة بين أهله وقرابته، فقد زرع محبته في قلوب الناس بلطفه وعطفه وفضله، وأذكر أن والدي ~ كان يبجّله كثيراً، وقد وجدت في رسائل قديمة بينهما أنه إذا راسله قدّم الرسالة بقوله: إلى الأخ الوالد محمد الفريح ...الخ.

وفيه يقول الوالد ~ :

حــــنين قلـــبي لجّ بـــأرض الجزيـــره

مـــن يـــوم رحتـــو والحـــنين امتواصـــل

يقـــول مـــا يملـــى حيـــاتي بغـــيره

محمـــد اللـــي للقطـــوعين واصـــل

محمـــد اللـــي لـــه مزايـــا كـــثيره

مهمـــا مدحتـــه قيـــل تحـــصيل حاصـــل

وفي عام ١٣٧٣هـ قدِم الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ إلى البكيرية فطلب منه الأهالي إنشاء هيئة للأمر بالمعروف، فاجتمع الشيخ عمر بالشيخ عبدالعزيز السبيل في منزل العم الشيخ محمد وتم كتابة بعض الأسماء لتعيينهم فطلب الشيخ عمر من الشيخ عبدالعزيز أن يكتب اسم الشيخ محمد بن عبدالمحسن معهم فأخبره أنه رفض ذلك فأخذ الشيخ عمر الأوراق وكتب اسمه بيده، فكان ~ عضواً في الهيئة منذ تعيينه حتى منتصف عام ١٣٩٢هـ حيث صدر قرار من ديوان رئاسة مجلس الوزراء[1] بتعيينه رئيساً لهيئة الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالبكيرية، وقد أُحيل إلى التقاعد في عام ١٣٩٨هـ، ثم مُدد له حتى عام ١٤٠٨هـ، وكان ~ مهتماً بأمر الستر على الناس الذين أمر الله ﷻ بالستر عليهم،

---

(١) برقم ٥٥٥، وتاريخ ٢١-٢٢/ ٦/ ١٣٩٢هـ.

وكان دائماً يردد الحديث ".. من ستر مسلماً ستره اللّه يوم القيامة "[1].

وكان أيضاً عضواً في كثير من اللجان الخيرية والإصلاحية في البلد، فهو عضو في لجان النظر المعتمدة من الإمارة والشرطة والمحكمة، واستفادت منه جمعية البر الخيرية في البلد أول إنشائها في معرفة المحتاجين في البلد، وكانت له جهود خاصة في إصلاح ذات البين وحل المشاكل الزوجية ونحوها، وكان كثيراً ما يردد الآية:

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[2].

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٤٢)، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه، صفحة [٤٢٨]، دار ابن حزم، ط١.

(٢) سورة النساء: الآية (١١٤).

وكانت له مكانة وتقدير خاص عند أمراء البلد والمسئولين فيه وكانوا يجلّونه ويعرفون فضله وجهوده في خدمة البلد وأهله، وقد عُرضت عليه إمارة البلد عام ١٣٧٤هـ لكنه رفضها رغبةً عنها و طاعة لوالده الذي نهاه عنها ورفض دخوله فيها.

كان ~ كريماً يوصف بذلك، وكرمه مشهور عند الخاصة والعامة وعند المقيم والمسافر، فيندر أن يأتي يوم إلا وعنده ضيوف.

ويقول عنه الوالد ضمن قصيدة طويلة:

و(محمد المحسن) للضواين غريمٍ
عدو ماله لو تعرض للإفلاس

كم من قطيعٍ حول داره مقيمٍ
محضّراتٍ للسكاكين والفاس

ياما ذبح من كل كبشٍ جسيم

أبتْ سكاكينه على ذبح الأتياس

كان وصولاً لأرحامه وأقاربه فلا يدخل بلداً إلا ويزور كل قريبٍ له فيها، ويواصلهم بزياراته واتصالاته الدائمة، كما كان حليماً لا يغضب إلا فيما ندر، ويتخير منطقه إذا أراد الكلام ويسكت في كثير من الأحيان، وكان حكيماً يعرف مواضع الزلل ويبتعد عنها ويحذر منها، وله رأي ثاقب ومشورة معروفة يقصده ويهاتفه الكثيرون للتنور برأيه في كثير من المسائل.

وكان ذا فراسة عجيبة في الأشخاص والبلدان ونحوها، وهو ثقة حافظ لرواية التاريخ[1]، وقد أهلته حافظته القوية لأن يحفظ كثيراً من التواريخ المهمة

---

(١) انظر: البكيرية، علي بن سليمان المقوشي، ص(١٨).

والوقائع والأحداث وميلاد ووفيات الأشخاص، ولذلك كان مرجعاً في هذا الشأن للقاصي والداني، وفيه يصح قول الشاعر:

بينا يُرى الإنسان فيها مُخبِراً
حتى يُرى خبراً من الأخبار

وينطبق عليه قول الآخر:

قد كنت تدأب في التاريخ مجتهداً
حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً

وكان ~ ذا معرفة بالنجوم ولذلك كان دليل أصحابه في طريق الحج الذي أداه راجلاً خمس مرات قبل عام ١٣٦٠هـ.

وقد كانت له عناية بأملاك أهله وأقاربه وأوقافهم فقد قام عليها وأصلحها من ماله الخاص حتى يستمر أجرها لمن أوقفها.

مـرض في شـهر شـعبان عـام ١٤٢١هـ، ولم يبـد ذلك لأحد، ولم يشكُ مما أصابه، لكن آثار المرض بدت عليه فأصر عليه أبناؤه بالذهاب إلى المستشفى، وكان برغم شدة المرض صابراً محتسباً، وبعد صيامه لشهر رمضان من العام نفسه بدأت صحته بالتراجع، وفي العام التالي وتحديداً في ٢٦ صفر ١٤٢٢هـ صلى صلاة المغرب في الجامع الكبير، وكان المشي يتعبه جداً فيضطر إلى الجلوس ليرتاح رغم قرب المسافة، ثم انقطع بعدها عن الصلاة في المسجد لشدة المرض، لكنه لم يترك الصلاة جماعة، فكان ينتظر أحد أبنائه بعد انصرافه من الصلاة في المسجد ليصلي معه، وقد ألح عليه أبناؤه في الذهاب إلى المستشفى فلم ير ذلك حتى قيل له: لعلك إن ذهبت إليها استطعت إدراك الصلاة مع الجماعة في المسجد. فوافق ودخل المستشفى في يوم الأحد ٤ ربيع الأول ١٤٢٢هـ، وبعد ثلاثة أيام دخل في غيبوبة استمرت أسبوعاً كاملاً،

ثم توفي عصر يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الأول ١٤٢٢هـ رحمه اللّه رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جناته[١].

وقد أُسرع في تجهيزه والصلاة عليه عملاً بالسنة النبوية، وقد أم المصلين عليه ابنه الشيخ ناصر، وذلك بعد صلاة العشاء من اليوم نفسه، وقد شهد الصلاة عليه جمعٌ كبيرٌ جداً، امتلأ بهم الجامع الكبير الذي لم يشهد قبله مثلهم، وكان يوم تشييعه يوماً مشهوداً، جعل اللّه جميع أولئك شافعين له، وتغمده بواسع رحمته وفضله[٢].

رثاه ابن أخيه إبراهيم بن عبداللّه الفريح

---

(١) من الموافقات أن العم الشيخ محمد ولد ومات في نفس الشهر، فقد ولد في ربيع الأول عام ١٣٣٠هـ ومات في ربيع الأول عام ١٤٢٢هـ، والزمن بين وفاته ووفاة جده (محمد بن فريح) مئة عام كاملة، حيث توفي جده عام١٣٢٢هـ، وأيضاً توفي هو وجده عن أكثر من تسعين عاماً.

(٢) استفدت أكثر هذه الترجمة من ابن العم الشيخ فريح بن محمد الفريح ~ .

بالقصيدة التالية:

شـــــــيخٌ وأنْهَــــــكَهُ الألـــــــمْ
مــــا أنَّ قـــــطُّ بــــل ابتـــــسَمْ

ويَكَـــــــادُ يُقْـــــــسِمُ أنَّـــــــهُ
فيِ خــــيرِ حـــالٍ بــــل أتَـــــمْ

وبِجَـــــوفِ ذَاكَ الـــــشيخِ جَمْـــــــ
ـــــرٌ قــــد تَـــأجَجَ واضْــــطَرَمْ

لم يَــــشْكُ مـــن جـــورِ الزمــــــ
ـــــانِ وإنِّـــما ذكَــــرَ الـــنِّعَمْ

صَــــبْرٌ تَنُـــوءُ بـــهِ الجبـــــــ
ـــــالُ وعَــــزمُ شـــيخٍ مُحْتَـــرمْ

(بـــــأسٌ) ألَـــمَّ بـــهِ وبـــــــ
ـــأ سُ الــشيخِ أشْــهَرُ مِـــن علَـــمْ

لاذَ العـــــــــدوُّ بجِـــــــــسْمِهِ

مـــــــن دونِ إذْنٍ واقـــــــــتَحَمْ

لـــــــمَّا اســــــتَجَارَ أجَـــــارَهُ

أيُجَـــــارُ فتّـــــاَكٌ هَجَـــــمْ ؟

أخْفَـــــاهُ سِـــــرَّاً مَـــــنْ سيُفـــــشـ

ـــــي الـــــسِّرَّ إنْ شـــــيخٌ كَـــتَمْ ؟

أخفَـــــــاهُ يعلـــــــمُ أنَّ مَـــــــنْ

أخفـــــــى سَـــــــيورِدُهُ العَـــــــدمْ

نـــــالَ الأمـــــانَ مِـــــن الكريـــــــ

ـــــــمِ ورُبَّ مُـــــــؤتَمَنٍ ظَلَـــــــمْ

لكنـــــــهُ طَبْـــــــعُ الـــــــشيوخِ

ولـــــــيسَ مِـــــــن طَبْـــــعِ الخـــــدَمْ

أبْقَـــــــاهُ ضَـــــــيْفَاً في الحـــــــشَا

لم يُبْـــــــدِ للـــــــضيفِ الـــــــسأَمْ

حتـــــى إذا ضـــــاقتْ بـــــهِ

أحـــــشَاؤهُ لم ينـــــــتَقِمْ

تَـــــركَ المكـــــانَ لِـــــضَيفِهِ

لمّـــــا رآهُ قـــــد ازدَحَـــــمْ

وسَـــــمَا وخَلّـــــفَ جِـــــسْمَهُ

كيمـــــا يُقَـــــالُ رعَـــــى الـــــذِّمَمْ

ضَـــــيْفٌ لئـــــيمٌ إنمـــــا

جُبِـــــلَ المُـــــضِيفُ علـــــى الكـــــرَمْ

ورثاه بقصيدة أخرى قال فيها:

للنـــــــاسِ أَنْفَـــــاسٌ تُعَـــــدّ
إذا انتهَـــــــــتْ لاتُـــــــــسْتَردّ

والكَـــــيِّسُ الفَطِــــنُ الـــــذي
مِـــــنْ قَبْـــلِ سَـــاعَتِهِ اسْتَـــعَدّ

بِـــشَهَادَةِ التوحيـــدِ ثُـــمَّ بطـــــ
ـــــاعَةِ الفَـــرْدِ الـــــصَّمَدْ

ومَـــشَى ولـــو طـــالَ الزمــــ
ـــــانُ علـــى صِـــرَاطٍ لم يَحِـــدْ

مُتَتَـــــبِّعَاً هَـــــديَ الرســـــ
ـــــولِ بكـــلِّ جِـــدٍّ واجْتَهَـــدْ

ذَاكَ الـــــسَّعِيدُ ومَـــــنْ يُرِيْـــــ
ـــــدُ زِيَـــــادةً فَلْيَـــــسْتَزِدْ

تِـــــــسْعُونَ عـــــــاشَ (مُحَمَّـــــــداً)

أَكْـــــرِمْ بِـــــهِ وبِمَـــــــنْ حَمَـــــــدْ

أَفْــــــضَى وكُـــــــلُّ النَّــــــاسِ فِي

حَــــــــزَنٍ عَلَيْــــــهِ وفِي كَمَــــــــدْ

أَفْــــــضَى ولم يَفْــــــرَحْ سِـــــوَى

قَبْـــــــرٌ حَـــــــوَى ذَاكَ الجَــــــسَدْ

مـــــا كـــــانَ فِي حُـــــسْنِ الـــــصِّفَـ

ـــــاتِ سِـــوَى(الوكيـــلِ الـــمُعْتَمَدْ)

ولَكَـــــمْ عَفَـــــا عمَّـــــنْ أسَـــــاءَ

ومَـــــا أسَـــــــاءَ إلى أحَـــــــدْ

لم يَـــــــسْتَبِدْ غَـــــضَبٌ بِـــــهِ

بَـــــلْ حِلْمُـــــهُ فِيـــــهِ اِسْـــــتَبَدّ

وتَـــــراهُ أوَّل مَـــــــنْ يَقُـــــومُ

لِوَاجِـــــبٍ قـــــد يَـــــسْتَجِدّ

وإذا تَدَافَعَتِ الجمُوعُ
لِغَيْرِ مَكْرُمَةٍ قَعَدْ

هو وَصْلُ كُلِّ قَطِيْعَةٍ
هوَ لِلقَرِيْبِ إذا ابْتَعَدْ

هوَ للضَّعِيفِ يُحِبُّهُ
هوَ لليتِيْمِ أباً وُجِدْ

هو للأرامِلِ في الدُّجَى
مِنْ دُونِ مَعْرِفَةٍ سَنَدْ

هوَ مَنْ بِسِتْرِ اللهِ يَسْ
تُرُ مَنْ بِفِعْلَتِهِ يُحَدّ

ولَكَمْ أتَاهُ السَّائلون
فما تَرَدَّدَ إنْ وَجَدْ

فهوَ السخِيُّ بِطَبْعِهِ
وهوَ الكرِيْمُ أباً وَجَدّ

وبَنُـــــــــوهُ أو أحْفَـــــــــادُهُ

أشْـــــبَالُ مِـــــنْ ذَاكَ الأسَـــــدْ

هـــــوَ مَـــــنْ يُـــــشِيرُ ويُسْتَـــــشَـ

ـــــارُ ولا يُحَـــــلُّ إذا عَقَـــــدْ

هـــــوَ لِلجِـــــراحِ طَبِيْبُهَـــــا

جـــــرْحٌ يُـــــضَمِّدُهُ خَمَـــــدْ

وهـــــو الـــــصَّدُوقُ إذا تَحَـــــدَّثَ

والـــــوفِيُّ إذا وَعَـــــدْ

هـــــوَ مَـــــنْ أقُـــــولُ اليـــــومَ أنَّ

غَـــــداً سَـــــتَفْقِدُهُ البلـــــدْ

هـــــوَ رمْـــــزُ كـــــلَّ كَرِيْمَـــــةٍ

وهـــــو الفقِيْـــــدُ الـــــمُفْتَقَدْ

ورثـاه ابـن أخيـه الـدكتور صـالح بـن عبـدالله الفـريح بالقصيدة التالية:

بـــــأبي نفـــوس للعـــــلا توّاقـــــه
وركـابهــــا نحـــو العــــلا ســـبّاقه

يمـــضي الأنـــام وهـــمٌّ ماجـــدهم إذا
تـــسمو النفـــوس مظـــاهرٌ برّاقـــه

لكــــنني أرنـــو دوامـــــاً لـــــلأولى
رايـــــاتُهم مُزدانـــــــةٌ خفّاقـــــــه

جمـــعٌ كـــرامٌ يقطعـــون مفـــاوزاً
والقـــصدُ مجـــدٌ مـــذهلُ الإشـــراقه

وإذا ذكـــــرتهمُ ذكـــــرت إمـــــامهم
شـــيخٌ ينـــال المجـــد في إطراقـــه

عمّـــي المقـــدم في الكـــرام كأنـــه
نجـــم الـــسماء بـــسيرةٍ خلاّقـــه

قــــد نـــــال أمجـــاداً يتـــوق لمثلـــها

حُـــــرٌ أبـــــيٌ نفـــــسه توّاقــــــه

شـــيخٌ تربـــع فـــوق عـــرش قلوبنـــا

والـــبغض أعلـــن في الـــدنا إخفاقـــه

شـــهمٌ كـــريمٌ بذلـــه فـــاق الأولى

بـــذلوا الجزيـــل كـــأنهر دفـــّاقه

يهـــوى العطـــاء ويبـــذل المـــال الـــذي

كـــل الأنـــام لـــسطوه عـــشّاقه

يعطـــي الكثيرويكـــرم الـــضيف الـــذي

زار الحمـــــى ويبثـــــّه أشـــــواقه

ويقـــوم في كـــرمٍ فيبـــذل مالـــه

لـــضعيف حـــالٍ قـــد شـــكى مـــن فاقـــه

ويجـــوزه دومـــاً فيبـــدأ مـــن درى

أن الخطـــوب لـــسعده ســـرّاقه

وكــذا اليتــيم وكــل أرملــةٍ شــكت

مــن هــمّ هــذا العــيش أو إرهاقــه

فــإذا بهــذا الــشهم بــدد همّهــا

وبــدا يــسوق إلــيهمُ أرزاقــه

حتــى لقــد شــهد الجميــع ببذلــه

والكــل حــرّك بالثنــا أشــداقه

يــا ربِ أكرمــه وهــوّن ســؤله

وأجــره مِــن نــارٍ لظــى حرّاقــه

ارفــع منازلــه بــدار كرامــةٍ

وارفــع بجنــات الخلــود رواقــه

ورثاه الأستاذ صالح بن عطا الله الخزيم بقصيدة منها :

ولقـــد توفـــيَ شَـــيْخُ قـــومٍ فَاضـــلٌ

حُـــــرٌّ أديـــــبٌ عَـــــارِفٌ صَـــــبَّارُ

مِـــنْ بَحْرِمعرِفَةِالـــفنونِ قـــد ارتـــوى

فلِقَلْبِـــــهِ ولِعَقْلِـــــهِ إبْحَـــــارُ

فَحَـــوادِثُ التـــاريخِ يَحفَظُهَـــا لنـــا

وبعِلْـــمِ أنْـــسَابٍ لـــهُ أذكَـــارُ

ولقـــد تَـــوَلَّى هيئَـــةَ الأمـــرِ الـــتي

بـــالعُرْفِ تَـــأمُرُ قَادَهَـــا الأخيـــارُ

ولِبَيْتِـــهِ بـــابٌ علـــى مِـــصرَاعِهِ

اعتَـــادَهُ الأضـــيافُ والـــزوَّارُ

هـــذا الفـــريحُ عليـــهِ رحمـــةُ ربِّنَـــا

وجَـــرَتْ عليـــهِ بجنَّـــةٍ أنـــهَارُ

مولده ونشأته :

ولد الشيخ عبدالله الفريح ~ في البكيرية في السابع عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٤٠هـ، ونشأ وتربى في كنف أبوين كريمين وفي أسرة معروفة بالخير والصلاح.

تلقى مبادئ العلوم الشرعية على يد والده الذي عني به وحرص على تعليمه القرآن الكريم واهتم لهذا الأمر لما لحظه عليه من نباهة وحسن فهم وسرعة في الحفظ ودقةٍ في الإدراك.

تعلم الكثير من والده، الذي كان يصطحبه معه في صغره وذلك عندما يذهب لتسيير شؤونه حرصاً منه على إفادة أبنائه، ولم يزل ابنه يثير إعجابه بنباهته وذكائه وحسن تدبيره للأمور على صغر سنه.

نشأ ~ على محبة الخير والعدل ورفض الظلم ودفعه بكل الوسائل والطرق وهو أمر واضح في شخصيته عند كل من عرفه، وهو كذلك أمر مندوب إليه شرعاً فالله ﷻ أمر بالعدل ونهى عن الظلم وحرّمه على نفسه وجعله بين الخلق محرماً، وهذا الأمر دفعه في مرات كثيرة لأن يقوم بالوساطة والإصلاح ووضع الحق في نصابه والوقوف مع صاحبه.

ومن شعره في هذا المعنى:

قالوا هواكْ؟ قلتْ أنا أهوى العدالةْ

هي هوايْ ومُنوتي لو تسودِ

هي الأساسْ ولا شيءْ يصلحْ بدالهْ

لعلْ من عافه عشا للفهودِ

حياته العلمية:

بدأ ~ في طلب العلم خارج البلد في سن مبكرة وذلك عندما أرسله والده إلى الرياض، وهو إذ ذاك في العاشرة من عمره، وقد خرج من القصيم برفقة قافلة من المسافرين، وحيداً ليس معه من أهله ولا من أقاربه أحد، كان ذلك في عام ١٣٥٠هـ، وكانت الرياض في تلك الآونة تزخر بالكثير من العلماء وبها حلقات العلم التي يؤمها الطلاب بالعشرات والمئات.

وصل إلى الرياض بعد عناء طويل ومشقة بالغة، نظراً لصغر سنه واعتباراً لحاله في السفر، فتوجه إلى حي دخنة (غرب الرياض قديماً وفي وسطها حالياً) ونزل فيه، لميزة تفرّد بها آنذاك إذ يقطنه العلماء من آل الشيخ وغيرهم، كما أن جميع طلاب العلم كانوا ينزلون فيه، وذلك لقربه من مجالس العلماء وحلقات

العلم، و دخنة في ذلك الوقت تعتبر التجمع الرئيسي للعلماء وحلقات العلم والتدريس[1]، وكان مسجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف[2]، والمعروف بمسجد دخنة- أشبه ما يكون بالجامعة العلمية المتخصصة في علوم الشريعة وذلك بسبب عطائه العلمي، ونشاطه الدعوي على مستوى البلاد النجدية، وقد أم المصلين في هذا المسجد وأقام الدروس الشرعية فيه عدد من أبرز رجال الدعوة في هذه البلاد منهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ[3]، والشيخ المفتي

- - - - - - - - - - - - - -

(١) انظر: معجم مدينة الرياض، خالد السليمان، ص٣٦ .

(٢) أنظر ترجمة الشيخ ص٩.

(٣) الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولد عام ١١٩٣هـ في الدرعية وعاش فيها حتى عام ١٢٣٤هـ حيث رحل إلى مصر فبقي فيها حتى عام ١٢٤١هـ وبعد ذلك عاد إلى الرياض وعاش فيها حتى توفي عام ١٢٨٥هـ، وهو من كبار علماء الدعوة، خلف جده الإمام محمد بن عبدالوهاب وقاد الدعوة الإصلاحية حتى لُقّب بالمجدد الثاني.

محمد بن إبراهيم آل الشيخ[1] وبقي فيه الشيخ محمد نحو خمسين سنة، إماماً وخطيباً ومدرساً ومفتياً[2].

وفي ذكر دخنه وذكرياتها يقول:

وبـــدارْ (دخنـــة) دار الإخـــوان جـــتني

مـــصاعبٍ مـــا خِلتهـــا كـــان تـــاتي

وكانت الدور التي ينزل فيها طلبة العلم تسمى (دار الإخوان) وقد سكن ~ فيها مع أناس لم يعرفهم من قبل، جاؤوا من مختلف البلدان وتركوا أهاليهم رغبةً في تحصيل العلم والتفقه في الدين، فاجتمعوا هناك وأصبحوا كالإخوة، وكان أكثر وقتهم في المسجد حيث يتعلمون ويدرسون علوم الشريعة، التي بها يتوصل العبد إلى طاعة ربه وعبادته

---

(١) أنظر ترجمة الشيخ ص١٢.

(٢) انظر: مجلة الدارة، العدد ٢، السنة ٣٠، عام ١٤٢٥هـ، المظاهر العلمية لعاصمة الدعوة السلفية وآثارها، د. علي بن عبدالعزيز الشبل، ص١٨٥.

كما شرع ﷻ.

ومن شعره:

مِـن طـاعْ ربـه سـيدٍ بـين الأسـيادْ

تـاتي لـه الـدنيا ولـو مـا سـعى لـه

سـعادته تـاتي علـى روس الأشـهادْ

مـا ضـره الحاسـد ولا الـشرْ نالـه

ومـن لا يـسوس الـنفس بالـصبر وجهـادْ

يـاردْ علـى مـيٍّ تكـدّر زلالـه

يـشرب علـى حـر الظمـأ كـل مـا رادْ

فـوز الـسلامة عرقلـت لـه حبالـه

وبعد فترة من الزمن قضاها في دخنة، انتقل ليسكن مع خاله الشيخ عبدالله العوّاد[1] - وكان رجلاً كفيفاً - فلزمه وصار يأخذ بيده ويرشده ويتلقيان العلم معاً على العلماء، وقد مكث في الرياض مدة أدرك من خلالها قسطاً من العلم والفقه وظفر من مخالطة العلماء على منهجية علمية في التلقي والاطلاع وتمييز المعلومات والأخبار، ثم كانت له بعد ذلك عناية كبيرة بالتفسير والفرائض.

وقد امتدت إقامته في الرياض لثلاث سنوات قضاها في طلب العلم ومجالسة العلماء وتعلم فيها الكثير من العلوم، وبعدها رجع إلى البكيرية. وفي عام ١٣٥٥هـ وبعد سنتين من عودته من الرياض رحل

---

(١) الشيخ عبدالله بن عيد بن عواد العواد الطائي، طلب العلم في الرياض ولازم عدداً من العلماء، ثم تولى التدريس في قصر الملك عبدالعزيز، توفي ~ في ريعان شبابه عام ١٣٨٥هـ تقريباً.

إلى مكة المكرمة حاجاً مع حجاج البلد، سائراً على قدميه.

وله في حجته هذه قصة طريفة، وهي أنه لم يكن مقرراً له أن يذهب إلى الحج ضمن أفراد الأسرة الذين سيذهبون، فوالدته وأخوه محمد وإحدى أخواته هم من سيحج، أما هو فأرادوا له أن يبقى في البكيرية، ولكنه رأى رأياً آخر وعزم على الذهاب إلى مكة وأداء فريضة الحج معهم.

فتتبعهم حين رحلوا وأخذ يراقبهم من بعيد وهم لا يعلمون بأمره حتى ابتعدوا عن البكيرية وأصبح أمر إعادته مستحيلاً، عندئذٍ خرج عليهم فلم يكن لهم بدٌ من أخذه معهم.

وعندما وصل الحُجاج إلى البلد الحرام ومكثوا أيام الحج كان معهم، فلما أتموا حجهم وأخذوا في ترتيب أمر العودة لم يرغب في العودة، وإنما أحب

البقاء في مكة ورغب في الجلوس في الحرم المكي وحضور حلقات التدريس فيه، فبقي على ذلك زمناً، ينهل من معين العلم ويجالس العلماء.

ثم أخذ يسعى في كسب رزقه، وكان يبذل الجهد الكبير في سبيل الحصول على عملٍ ملائم، فلم يكن ذلك يسيراً في ذلك الزمن الصعب، ولسان حاله:

اللـــي نبيـــهْ عيّـــا البَخَـــتْ لا يجيبـــهْ
واللـــي يبينـــا عيّـــت الـــنفس تبغيـــه

حياته العملية:

بقي في مكة المكرمة على ذلك الحال، يعمل أياماً ليصرف على نفسه، ثم يبقى في الحرم المكي الشريف ليطلب العلم ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وفي ذلك العام أمر الملك عبدالعزيز ~ بإنشاء المدرسة العسكرية في مكة المكرمة، فافتتحت أواخر عام ١٣٥٥هـ، فذهب إليها وسجّل اسمه في أول دفعة من طلابها، فدرس ~ العلوم العسكرية، وكان نابغاً فيها، وتخرج بعد ذلك ليصبح ضابط صف بالرهط الثالث في الجيش السعودي، وكان ذلك في عام ١٣٥٦هـ، وامتدت فترة بقاءه في مكة المكرمة سنة ونصف تقريباً، قضاها في طلب العلم ثم في الدراسة العسكرية وبعد ذلك في العمل العسكري.

ومن شعره:

أرضـــي وســيعة ضــاقْ فيهــا مجــالي

فكّــرتْ في أرضٍ ورا الحــدّ مِــن غــادْ

لكـــونْ طـــيرٍ راغـــبٍ بالأعـــالي

في قــارةٍ مــا حولهــا الــصيدْ ينــصادْ

أشــربْ مــن العــذب العــذيّ الــزلالِ

وأطعــمْ طعــامٍ يــمّه الــروح تنقــادْ

لكــونْ حُــرٍ بالفــضا مــا يبــالي

لا ضــاقت الــدِنيا علــى بعــض الأفــرادْ

وفي عام ١٣٥٧هـ حصل على ترقية إلى رتبة (عريف) في شمال المملكة بمركز (ذات الحاج) [1]، فرحل إلى هناك وكانت تجربة جديدة عليه، مليئة بالمفاجآت والأحداث الغريبة، وقد قاسى فيها صعوبة العيش والغربة والعمل المضني.

---

(١) ذات الحاج: بفتح الحاء بعدها ألف فجيم مخففه، قرية بمنطقة أمارة القريات، كان بها مركز ثم نُقل المركز إلى حالة عمّار. المصدر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، حمد الجاسر، ص٢٧٧، القسم الأول، ط١، ١٣٩٧هـ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

وفي ذكرياته هناك يقول وهو يتحسّر على فراق مكة والمسجد الحرام ومجالس العلم:

عقـودٍ مـضت مابـه مـن الكـسب بـاره

لا راتـــبٍ يـــسوى و لاهـــوب مـــصروف

ســـاد الزمـــان اللـــي تـــوارى مـــراره

مـــرارةٍ بالـــذوق والـــسمع والـــشوف

كـــسورٍ توالـــت مالهـــا مـــن جبـــاره

أعيــت بهــا الأطبــاب والأصــل معــروف

غـــير الإلـــه اللـــي إليـــه المـــساره

مـــا شـــيء يجبرنـــي ولـــو كـــان موصـــوف

وقـد بقـي ~ في ذات الحـاج عـامين كـاملين، وبعـدها حـصل علـى ترقيـة إلى رتبـة (نائـب)[1] في مركز(حقل)، وكان ذلك في عام ١٣٥٩هـ.

كـان شمـال الـبلاد آنـذاك يكـاد يكـون معـزولاً تماماً عن عاصـمة الـبلاد وبالتـالي عـن نجـد بكـاملها، فصحراء النفود الكـبير تُشّكل حاجزاً طبيعياً يحـول بينهما، يُضاف إلى ذلك عدم وجود مدن كـبيرة بحجـم الرياض وجدة ومكة والمدينة، فالمدن الـصغيرة والقـرى هـي الـسمة البـارزة في التركيبـة الجغرافيـة في الـشمال آنـذاك، وكـان انتقالـه إلى هنـاك تحـولاً كـبيراً في حياته، فالمجتمع والبيئة والعادات مختلفة عما عرفه في بلده وفي ما مضى من عمره.

---

(١) رتبة (نائب) رتبة قديمة تم تعديلها إلى رتبة (وكيل رقيب).

ومن شعره:

غـــادرتْ أرضـــي طالـــبٍ للمعـــالي
ومــن غــير حقّــه طالــب الــربحْ خــسرانْ

يـــوم أدركتنـــا عاديـــات الزمـــانِ
في ســـاحةٍ مـــا بـــين مقنـــا وعمّـــانْ[1]



(١) مقنا: بلدة صغيرة في شمال غرب المملكة، وعمّان عاصمة الأردن.

كـــان انتقـــال عملـــه إلى الـــشمال النـــائي -في مراكـز الجـوف وحقـل وذات الحـاج والنبـك- سـبباً في أن ينقطـع عـن أهلـه وأقاربـه، فبُعـد المـسافة ووعـورة الطريـق ونـدرة وسـائل النقـل الحديثـة- حيـث لا يـزال النـاس يـستخدمون الـدواب في تـنقلاتهم وأسـفارهم- يُضاف إلى ذلك عدم وجود وسائل الاتصالات الحديثة، كانت تلك الأمور تقف حائلاً بينه وبين التواصل مع أهله، وكان كل من يبتعد عن بلده مسافة كبيرة في ذلك الوقت يكون منقطعاً عن أهله تماماً، فلربما مرض أو مات، وربما تزوج وأنجب وأهله لا يعرفون شيئاً من أخباره ولا يعلمون بأحواله وما يجري عليه.

وفي الفترة مابين ١٣٥٧هـ إلى ١٣٦٨هـ وهي الفترة التي عمل فيها في المناطق الشمالية، وكانت الاتصالات-كما أسلفت- معدومة تقريباً، إذ لا هواتف أو برقيات، والبريد ضعيف جداً فنادراً ما يتوفر، أدى ذلك إلى انقطاع أخبار الوالد ~ عن أهله في القصيم، وطال ذلك الانقطاع جداً، حتى جاء ذلك اليوم الذي وصلت فيه رسالة من القصيم...

وكان المرسل هو والده الشيخ عبدالمحسن، يسأله فيها عن حاله وعن غيبته الطويلة، ثم يختم رسالته بتساؤل حزين فيقول: "ونحن لا ندري يا ولدي أحيٌّ أنت أم ميّت ؟ فإن كنت حياً فأرسل لنا وطمئنا على حالك".

ويبدو أن هذه الرسالة قد أثّرت فيه ~ وهزت مشاعره وأثارت أشواقه إلى أهله، وفي ذلك يقول:

حيّ الكتاب اللي لفى بالتحياتْ
حيّه وحيّ اللي بعثْ بالوصاةِ

يا مرحبا به عد نبتْ النباتات
وإعداد ما أينعْ قويّ النباتِ

حيّه عدد ما غابْ فوق السماوات
وما بالبحرْ والبرْ حيّ ومواتِ

ساعة قريته ماج بالفكر موجات
هيّج شجونٍ بالحشى كامناتِ

زوّد حنيني للأهل والقرابات
وأرضٍ بها أمضيت مقدم حياتي

وقت الصبا بأطرافها جلت جولات
تذوّقت دبج مياهها والفراتِ

فيهـــا حبيـــبٍ لـــه رفيـــع المقامـــات[1]

ودّي أزوره قبـــــل فـــــوت الفـــــواتِ

وأســـعد بـــشوفه بالـــشرف والمباهـــاة

وأرجـــي بـــه المـــولى يزيـــد احـــسناتي

---

(١) يقصد والده الشيخ عبدالمحسن- رحمهما الله.

ثـم إنــه عــزم علــى زيــارة والــده وأهلــه، وكــان حريـصاً علـى الاسـتجابة لطلـب والـده في أن يطمئـنهم على نفسه، ويطمئن هو عليهم، فطلب إجازة مـن عملـه ليسافر إلى القصيم ويزور والديه وأهله وأقاربـه، فمُنح إجازة لمدة شهر، ثم أخذ يستعد للسفر.

فكّر أولاً في الطريق الذي سيسلكه، فإما إلى الجنــوب مباشــرة حيــث صــحراء النفــود الكــبير، فيجتازهـا إلى حائـل ثـم إلى القـصيم، وإمـا إلى الغـرب نحو تبوك ثم إلى الجنوب نحو المدينـة المنورة ثم شـرقاً نحو القصيم..!!

والفــرق واضــح بــين الطــريقين، فعــبر صــحراء النفــود، الطريــق مختــصر والخطــورة عاليــة جــداً، فالــصحراء قاحلــة ولا يــسكنها بــدو ولا حــضر، والقوافـل لا تعبرهــا إلا شــتاءً، أمــا في الــصيف فهــي مهلكة لا يكاد ينجو منها أحد.

والطريق الآخر طويل لكنه آمن، فهو يمر بالقرى وموارد الماء، والمسافرون يمرون به طوال العام.

لكن الوالد حين عزم على السفر اختار الطريق المختصر وقرر عبور النفود الكبير وحده، نظراً لشوقه الكبير لأهله من ناحية، ولقوته وشبابه وثقته بالله ثم بنفسه من ناحية أخرى.

ومن شعره:

ما ساورنْ في يومْ شكٍ بمولاي
ولا ضنيتْ في ربي رديّ الضنونِ[1]
ولا رابني يومٍ طَغَتْ فيه بلواي
بعونْ ربي كل شيءٍ يهونِ



---

(١) ما ساورنْ: أي لم يساورني الشك.

ذهب ~ إلى السوق ليشتري راحلةً وزاداً لرحلته الطويلة المحفوفة بالمخاطر، فوجد راحلة جيدة عند رجل من أهالي البكيرية يدعى (إبراهيم بن سليمان النملة) فدار بينهما حديث عن أمور كثيرة ، منها وجهته وطريق سفره، فما كان من إبراهيم - بعد أن علم بطريق السفر- إلا أن حذره من سلوك هذا الطريق الخطير المقفر، وحثه على السفر مع القوافل التي تأتي بين الحين والآخر، وأكد له أن أحداً لا يستطع عبور النفود في الصيف، وإنما شتاءً ومع القوافل، ثم حذره من قاطع طريق معروف كان يتربص بالمسافرين عبر الصحراء فلا يكاد ينجو منه أحد.

ويصور لنا ~ هذا الموقف بأبيات كتبها فيما بعد، يقول فيها:

(النملـــةَ) اللـــي بـــاعْ منّـــي رحـــولي
حـــذّرني المـــضماةْ والمـــوت قِـــدّام

قـــال المفـــازة غالـــبٍ مـــا تحـــولي
دونْ الـــذي تهـــواه لـــو كنـــت مِقـــدام

زودٍ علـــى قِـــل المـــوارد محـــولي
كـــم واحـــدٍ قبلـــك رقـــدْ بـــه ولا قـــام

هـــذا مـــع انـــك في وهـــاده جهـــولِ
سمـــوم قـــيضٍ وافـــق اليـــوم حمّـــام(١)

كـــم خـــارْ فيهـــا مـــن هجـــين الـــذلولِ
استـــسلمتْ يـــوم الحفـــاْ صـــابْ الأقـــدام

---

(١) القيض: شدة الحر.

فيهـــا مِـــن الأخطـــارْ شـــيءٍ يهـــولِ

زودٍ علـــى الأخطـــارْ مـــأوى للإجـــرام

فلم يغير ذلك التحذير شيئاً لديه فقد عزم على السفر و ركوب الخطر من أجل الاستفادة من هذه الإجازة التي منحت له وهي أيام معدودة فلا بد من اختصار الوقت والطريق داخل الصحراء.

انطلق في طريق سفره الذي حدده لنفسه، وحيداً.. يقوده شوقه وأمله، وذكريات طفولته، كان لا يأكل من الطعام إلا ما يسد رمقه ولا يشرب من الماء إلا ما يبقيه حياً، حتى لا يستنفد ما لديه من ماء، وكان نفادُ الماء في تلك الصحراء لا يعني إلا شيئاً واحداً هو... الموت.

مـرّت سـاعات طويلـة مـن الـسير المرهـق في الليـل والراحة القصيرة في النهار، كل مـا حولـه هـو صـحراء لا نهاية لها، مقفرة خالية، وكل مـا يـسمعه هـو صـفير الرياح، لا بشر ولا شجر ولا حيوان، سـكون رهيـب في صحراء قاسية.

وفي اليـوم الثـاني مـن مـسيرته وفي عمـق الـصحراء التقى برجل مسلح، يمتطـي راحلتـه منفـرداً، لـيس معـه أحد، كان هذا الرجل ذا مظهر مريب وعنـدما اقـترب منه ~ تـذكر نـصيحة (إبـراهيم النملـة) الـذي حـذره من قاطع الطريق، فلماّ وقـف عنـده ونظـر إليـه وتمعّنـه عـرف أنــه قــاطع الطريــق، وذلــك بحكــم عملــه في مطاردة المهربين وقطّاع الطريق، فلم يكن الأمر صعباً عليه.

أظهـر الرجـل رغبتـه بالمـصاحبة في هـذه الرحلـة، فترافقـا وكـل واحـدٍ منهمـا يرقـب الآخـر ويحـذره،

وكـان ~ لا يـترك سـلاحه بعيـداً عنـه تحـسباً لأي طـارئ، فلّمـا مـضى بعـض الليـل أخـذ ~ يعـد وجبـة العشاء وعينه لا تغفل عن صاحبه، فلمّا تناولا الطعـام، دب اليـأس في قلـب ذلـك الرجـل، وعلـم أنـه لـن تواتيـه فرصة يُغفل فيها عنه، ورأى من حـزم رفيقـه وحـذره مـا دفعه إلى الاستئذان بالرحيل، فمضى في سبيله.

ولمّـا ابتعـد قـاطع الطريـق قـام ~ إلى راحلتـه وانطلق بها سارياً طوال الليل، إذ خشي من عودة ذلـك الرجـل لـيهجم عليـه وهـو نـائم، فلمّـا أصـبح الـصباح وطلعـت الـشمس -وكـان قـد ابتعـد كـثيراً- لاذ بظـل شجرة وحيدة وقفت في وسـط الـصحراء كـأنها تناديـه لينام ويرتاح بظلها من عناء البارحة.

وعنـدما أدبـر النهـار وأقبـل الليـل كـان ~ قـد أخذ قسطاً كافياً من الراحـة، فـانطلق يواصل مـسيره بحماس ونشاط كبيرين، فلم يتوقـف عـن المسير حتـى

أصبح الصبح وطلعت الشمس، في ذلك الوقت كان قد وصل قرب جبل، فاقترب منه فإذا فيه غار كبير، فأقبل على الغار، الذي قيل إنه كان محطة للقوافل أيام الشتاء، فرغب في النزول فيه للراحة، فلما اقترب منه .. حدثت له مفاجأة رهيبة، إذ خرج عليه ثعبان عظيم لم ير مثله قط، وصفه لي فقال: " كان ينظر إليّ بعينين كبيرتين صفراوين كأنهما جنيهات ذهبية"

وقفَ ~ في مكانه وأخذ يفكر في الخروج من هذه المواجهة سالماً، فهو الآن في مأزق كبير، فإن تراجع لحق به الثعبان، وإن رماه فقد يخطئه، ثم لا يجد الفرصة الكافية لإعادة تجهيز بندقيته ذات الطلقة الواحدة.

أخذ كل واحدٍ منهما يحملق في الآخر، ثم قرر ~ أن يستعين بالله ويرمي الثعبان، فتناول سلاحه

وصوبه تجاه الثعبان ورمى باسم الله، فأصابته تلك الطلقة إصابة دقيقة مزقت جسم الثعبان فمات، ثم أقبل ~ إلى داخل الغار فدخله واستراح فيه ذلك اليوم.

الليلة التالية كانت معتمةً جداً، اشتدت فيها رياح الصحراء حاملة معها الغبار، وخفَتَ فيها ضوء القمر حتى لا يكاد المرء يرى فيها يده، في تلك الأجواء كان يمتطي ناقته، وكانت تسير بهدوء وتقطع الصحراء الشاسعة الساكنة، وفجأة.. لم يشعر إلا وقد هَوَتْ الناقة في جرفٍ من الأرض وسقط هو معها ليتدحرجا على ذلك المنحدر الكبير، فلمّا استقر نهض سريعاً يريد الناقة ويبحث عنها، فوجدها غير بعيدة عنه، فأخذ يتلمّسها بيديه ويتفقد أطرافها خشية أن يكون أصابها كسرٌ ما -فمصيره في هذه الصحراء القاحلة مرتبط بمصيرها - ولكن من رحمة

الله لم يـصبها أذى فاستنهـضها ولم يمتطهـا حفاظـاً على نفسه وراحلته من جرفٍ آخر أو أي أذى محتمل.

أخذ يقود ناقتـه ممسكـاً بزمامها واستمر علـى هـذا جـزءاً مـن الليـل، وبعـد سـاعات مـن الـسير، سمـع فحيح أفعى بالقرب منـه، وهـو لا يراهـا لشدة الظـلام، فأعـاد النظـر في مـسألة سـيره علـى قدميـه، وامتطـى ناقتـه، ومـضت تلـك الليلـة دون أن يـصيبه أذى بفـضل الله.



وعن تلك الليلة الرهيبة يقول:

سَـــرَيتْ فيْ ليـــلٍ شـــديدٍ ظلامـــهْ

حلْـــكْ الـــظلام وجـــنّ فيـــه الـــجنينِ

أجلـــبْ علـــيّ الليـــلْ وأجلـــبْ عـــسامهْ

وأمـــسيتْ غابـــتْ عـــن عيـــوني يـــديني

غـــاب الجمـــلْ ثـــم غـــابْ عنّـــي ســـنامهْ

لـــجّ الـــظلام اللـــي ستـــر مـــا يـــبينِ

وبـرغم أنـه لا يأكـل ولا يـشرب إلا قلـيلاً فقـد كانـت الأيـام الطـوال في الـصحراء كفيلـة باسـتنفاد كل ما لديه من الماء.

نفد الماء، ووقع الأمـر الـذي يخشاه المسافرون في الـصحراء، فنفـاد المـاء يعـني نفـاد الطعـام، حتـى وهـو موجـود، فـلا قيمـة لـه، لأنـه إن أكـل زاد عطشه، لـذا كان عليه أن يمتنع عن الأكل تماماً.

ومع أن خطة سفره تقضي بـأن يسير لـيلاً ويرتـاح نهـاراً، ليحمـي نفـسه مـن حـرارة الـشمس وأشـعتها الحارقـة، إلا أنـه واصـل المسير لـيلاً ونهـاراً، لعلـه يجـد بئـراً أو بلـداً أو مـسافراً..!! فلـم يكـن شـيءٌ مـن ذلـك، حتى أنهكه الظمأ والجوع، وخـارت قـواه وزاغ بـصره، فاتجـه إلى جبـل في طريقـه وترجّـل عـن راحلتـه وربطهـا ربطاً غير محكم، فقد تراخـى جسده وضعفت يداه،

وكان يرى أن حتفه هناك، وأنه هالكٌ لا محالة، فهو في حال أقرب إلى الموت منه إلى الحياة.

وجد في ذلك الجبل غاراً، رأى فيه قبراً محتّماً له، فكّر في دفن نفسه، حتى لا تنهش السباع جسده بعد موته، فدخل إلى الغار وحفر فيه حفرةً، ثم استلقى بداخلها، وأهال على نفسه التراب بيمينه حتى دفن جسمه كله إلا يده اليمنى فلا حيلة له في دفنها، وأبقى أنفه فلم يدفنه، ثم أخذ يتنفس طعم الموت.

كانت الشمس قد ألهبت الصحراء عندما ظن ~ أن وفاته قد حانت فدخل ذلك الغار وهيأ لنفسه منزله الأخير في هذه الدنيا.

قال لي ~ :" وضعت نفسي في القبر قبل غروب الشمس ثم انتهى كل شيء ظننت أني قد مت، وغربت الشمس ثم مضى الليل بأكمله وعندما طلع الصباح من اليوم التالي وارتفعت الشمس في كبد السماء ودخل ضوءُها وحرّهُا إلى الكهف انتبهت حينها، و كنت قد نمت أكثر من خمسة عشر ساعة متواصلة لم أتحرك فيها حركة".

استيقظ وقد أحّسَ بشيء من النشاط، فاستجمع قواه ونهض من قبره، ثم تناهى إلى مسامعه صوت يأتي من خارج الغار، فلمّا تأمّله فإذا هو صوت الناقة، وإذا بها تحن، فخرج إليها، وكانت هناك مفاجأة عجيبة بانتظاره.

وجد خطام الناقة قد انحل، وأصبحت حرة لتذهب، لكنها لم تفعل، بل وقفت أمام الغار تنتظره وتحنّ لأجله، فتعجب منها أشد العجب، لأنه يعلم أن ما نالها من الجوع والظمأ أكثر بكثير مما ناله، كما أنه لا يوجد بينهما إلف وعشرة، فقد اشتراها منذ أيام، فكان حرياً بها أن ترحل لترد الماء وترعى الكلأ.

وفي تلك الواقعة له أبيات منها:

لقيتْ رحلي بالجوار إحترتني

محبوسةٍ رغم الضما بالفلاةِ[1]

لا حابسه ولِفٍ ولا هي اولفتني

مفلوتةٍ من قيدها انفلاتِ

---

(١) احترتني: انتظرتني، رحلي: راحلتي.

ولكـن الناقـة رغـم ذلـك لم تبتعـد عـن مـدخل الغار، فشكر الله وحمده، ثم أخذ بخطامها وانتظر غـروب الـشمس، فلمـا غربـت ورحـل النهـار بأشـعته المتوهجـة، وبـدأت نـسائم المـساء الهادئـة بـالهبوب، قـام فحمـل أمتعتـه علـى ظهـر الراحلـة ثـم ركبهـا وانطلـق، وكـان الظمـأ والجـوع والإرهـاق هـم رفـاق دربـه تلـك الليلة وقد أخذوا منه كل مأخذ.

كان القمر بدراً في تلك الليلة بازغاً في السماء، يـنير الـصحراء بـضوءه الخافـت الجميـل، قـال ~ :" وأثناء سيري في تلك الليلة توقفت الناقة فجأة.. والتفتتْ تنظر جانباً، فذهلتُ من تصرفها المفاجئ والغريب!! ثم أخذتُ أمعن النظر في ناحية نظرها فرأيت لمعاناً على الأرض، فانطلقت نحوه، وعندما اقتربت منه وجدت ماءً على صفاة[1]، فنزلت عن الراحلة -غير مصدق لما

---

(١) الصفاة: الصخرة الملساء.

أرى- ثم برّكتُ الناقة وعقلتها، وحملت إناءً صغيراً مع القِربة التي كانت قد يبست من شدة الحر، فشربتُ قليلاً من الماء، ثم أخذت أبُلُ القربة وأرطبها، ثم جمعت الماء فيها وأحكمت ربطها، وبعد ذلك حللت عقال الناقة لتشرب ما بقي من الماء".

الحمد لله ... ذهب الظمأ وابتلّت عروقٌ أشرفت على الجفاف، فنام صاحبها نوماً هنيئاً تلك الليلة، بعد أن حمد الله الذي أنقذه من الموت.

وعند الصباح استيقظ وأخذ يجمع الحطب ليعد طعاماً يتناوله- فهو لم يذق طعاماً منذ أن نفد منه الماء- وعندما ابتعد قليلاً رأى أمراً عجيباً.

الماء الذي وجده بالأمس كان في مكان محدود ..!! وأما ما جاوره من الأرض فقد كان جافاً تماماً لم يأته مطر !! وكان من الغريب جداً أن يهطل المطر في الصيف، وفي تلك المنطقة القاحلة تحديداً ..!!

فكأن الله سبحانه وتعالى أمطر تلك الأرض حتى يسقيه وينقذه من الموت !!

تناول طعامه وركب راحلته مكملاً المسير إلى القصيم، ولم يكن ذلك الماء الذي جمعه من على تلك الصفاة كثيراً لذا فإنه ما لبث أن نفد ثانية، ولكن على مقربة من بئرٍ معروفة على تلك الطريق، فأكمل المسير حتى بلغ تلك البئر وهو على قدرٍ كبيرٍ من الظمأ والتعب فهو لم يرتوِ من الماء منذ مدة، ودابته كذلك لم تذق طعم الماء منذ أن شربته من على الأرض قبل أيام.

وصل إلى البئر فتهللت أساريره وفرح بالنجاة، ولكنه عندما أطل داخل البئر اختفت الابتسامة وتكدّر الخاطر، فقد كان البئر عميقاً وخالياً من أي وسيلة لجلب الماء، ومن أي وسيلة للنزول، فلا يوجد دلو ولا حبل ولا سلّم، وليس بالقرب من البئر أي شيئ يمكن أن يساعد في النزول وجلب الماء، فأصبح الوضع سيئاً للغاية، فما فائدة البئر إن كنت لا تستطيع الوصول إلى الماء الذي بداخله!!

مكث ~ يفكر قليلاً، ثم أخذ يجمع ما معه من حبال وما هو في حكمها، ويربط بعضها ببعض ولكنها كانت قصيرة فلم تصل إلى قاع البئر ولم تقترب من الماء.

وبعد تفكيرٍ ومحاولات وجد أنه لا سبيل إلى الماء سوى أن ينزل بنفسه متشبثاً بجوانب البئر ليروي ظمأه ويملأ قِربته.

أخذ في النزول داخل البئر وهو ينشب أصابعه في الفتحات الصغيرة بين أحجار البئر، و قد حمل قربته على ظهره، كانت يداه ترتجفان من شدة الإرهاق والتعب حتى وصل إلى أسفل البئر فوجد أن قاع البئر نصفه ماء ونصفه الآخر صخرة كبيرة، فجلس فوق الصخرة، وأخذ يشرب حتى ارتوى، ثم ملأ قربته بكاملها ثم نهض وربطها على ظهره، وأخذ يتسلّق إلى خارج البئر.

كـان الـصعود أصـعب بكـثير مـن النـزول، فالقربة التي على ظهره مليئة بالماء وثقيلة، وجسمه قد فتر بعد أن ذاق الماء واتوى، لكن لم يكن هناك خيار فلا بد من الصعود.

بـدأ ينـشب أصـابعه مـرّة أخـرى بـين الأحجـار ويحـاول أن يمكّـن يـده منهـا ثـم يـدفع بجـسمه إلى الأعلى وبكل عناء شرع في الصعود حتى انتصف في طريـق الـصعود حينهـا توقـف ولم يـستطع المواصـلة وأحس أنه سيسقط من شدة التعب. قال ~ :" عندها أخذت أنظر إلى أسفل البئر لأرى أين سأسقط ؟ على الماء أم على الصخرة".

كانت الناقة في تلك الأثناء تدور حول البئر ،وتنظر داخله، وتصدر صوتها الحزين، تحن إلى صاحبها وتفتقده، ورغم الصعوبة والعناء استجمع ~ قوته واستنفد طاقته مجتهداً في الصعود،

وبعون من اللّه استطاع أن يخرج من ذلك البئر.

وعنـدما خـرج ألقـى بجـسده إلى جانـب البئـر والـتقط أنفاسـه وأخـذ قـسطاً مـن الراحـة وهـو غـير مصدق أنه خرج من البئر سالماً غانماً، ثم نهض وسقى راحلته وأكمل مسيره.



وقد وصف هذه الحادثة ﱠ إحدى قصائده فقال:

غِـــب الظمـــا وردتْ بـــيرٍ طويلـــه

أدليـــتْ دلـــوي مـــير قـــصرت حبالـــهْ

نعيـــتْ نفـــسي مـــن ظماهـــا عليلـــه

تـــرِدْ المهالـــك لـــو بـــدا لـــه زوالـــهْ

نزلِـــت فيهـــا بعـــد فقـــد الوســـيله

يـــوم ارتويـــت وقـــربتي طـــاب فالـــهْ

صـــعدت منـــه بحمـــلْ مـــيٍ ثقيلـــه

رغـــم الـــسلامة فيـــه صـــعبٍ منالـــهْ

كـــدّت أتـــردى بعـــد حبـــلٍ وحيلـــه

لـــولا العنايـــهْ مـــن عزيـــز الجلالـــهْ

الحمـــد لله كـــم كـــربٍ يزيلـــه

ويبدّلـــه باليـــسر يجـــري بدالـــهْ

لقد أصبح الآن على مسافة قريبة من القصيم، وربما بقي له عدة أيام ليصل إلى بلده، لم يواجه في هذه الأيام مصائب تذكر– طبعاً غير مصيبة السفر نفسه– فدخل القصيم وتوجه نحو البكيرية حيث أسرته، لكنه لم يجد أحداً في المنزل، فأُخبر أن والده في جامع الهلالية [1] -وكان قد انقطع فيه للعبادة والتدريس- فذهب إلى الهلالية وقصد الجامع فوجد والده هناك، فدخل عليه وقبّل رأسه ويده

(١) الهلالية: من محافظات منطقة القصيم وهي أقدم حاضرة فيه، ويرجع تاريخ إنشائها إلى ما قبل الإسلام، أصبحت الآن ملاصقه للبكيرية، وكانت عبارة عن رياض خصبة وفيرة المياه تحيط بها رمال النفود، وعندما نشأت البلدة تم تأسيس الجامع المذكور في وسطها، وذلك في مطلع القرن الحادي عشر الهجري ولا يزال قائماً على أساسه الأثري القديم ، ويعد هذا الجامع معلماً مميزاً وفريداً لهذه المحافظة، وهو مكتمل الخدمات و لا يزال على شكله الأول وأساساته القديمة، وقد تولى الإمامة والخطابة في هذا الجامع الشيخ عبدالمحسن بن محمد الفريح و عقد حلقات علمية لتدريس القرآن والحديث والعقيدة.

واحتضنه، وكان بينهما لقاء لا يوصف.

وحكى لوالده قصة سفره العجيبة، فلمّا أخبره بقصة الناقة وما كان منها عند الغار ، قال له : " يا بُني لا شك أن الله ﷻ قد حبسها لك، فليس هذا من طبع هذه البهائم، فإنها ترد الماء الذي وردته قديماً وتعرف طريقها إليه".

ثم أخبره أن والدته في البدائع[1] عند أخته خديجة[2] فتوجه فوراً إلى هناك، يسبقه شوقه

---

(١) البدائع: تقع في وسط منطقة القصيم وعلى ضفاف وادي الرمة، وهي مدينة زراعية لوفرة المياه الجوفية وجودة التربة ووجود المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية، وتعتبر محافظة البدائع من المحافظات الجديدة حيث نشأت عام ١٢٩٩هـ حينما انتقل إليها بعض أهالي الخبراء، ثم تبعهم آخرون من الهلالية ورياض الخبراء والبكيرية.

(٢) خديجة بنت عبدالمحسن بن محمد الفريح، ولدت عام ١٣٢٧هـ في الهلالية، ونشأت وتعلمت في البكيرية ثم أصبحت من المعلّمات الأوائل في القصيم، ومن رائدات تعليم البنات قبل إنشاء الرئاسة، وهي زوجة =

الكبير، فلمّا وصل طرق باب الدار.

جاء الرد من الداخل: مَن ؟

فأجاب: أنا عبدالله.

جاءت أخته مسرعة وفتحت الباب.

فلما نظرت إلى وجهه -الذي عبثت به شمس الصحراء ورياحها حتى غيّرت ملامحه- استنكرته وأغلقت الباب بقوة قائلةً: لا أنت لست عبدالله. وتركته خارج المنزل، فأخذ يؤكد لها أنه أخوها ويطلب منها فتح الباب، فلم تستجب له، وتناهى إلى مسامع والدته صوته فعرفته، وقالت -ووجهها يتهلل

- - - - - - - - - - - - - -

= الشيخ إبراهيم بن سليمان الوابل ~ ، ولها ذرية مباركة صالحة، توفيت في محرم عام ١٤١٢هـ بالرياض ودفنت في البدائع. انظر: مشاهير الجزيرة العربية من عام ٧٠٠هـ إلى عام ١٤١٧هـ، عبدالكريم بن حمد الحقيل، ج١، ص١٦٤. وأنظر أيضاً: كتاب (البدائع)، عبدالله بن محمد العبيد، ص١٢٣.

فرحاً وسروراً- : هذا عبدالله افتحي له الباب.. افتحي الباب.

ثم ذهبت بنفسها مسرعة نحو الباب لتفتحه، وتتلقف ابنها بأحضانها، ولم تتأمل ملامحه، فقد عرفته يقيناً من صوته، وأخذت تبكي فرحة مسرورة بلقاء ابنها، الذي ظنت في يوم من الأيام أنه قد مات .. وأنها لن تراه أبداً.

كانت ملامح وجهه قد تغيرت من قسوة السفر، ومن رياح الصحراء و شمسها المحرقة، ولم يكن لديه الكثير من الماء، ولذا فهو لا يغسل وجهه في الصحراء، ولم يكن يتوضأ، بل كان يتيمم وذلك لقلة الماء وخشية الهلاك، وقد غيّر الجفاف وأشعة الشمس من شكله ومن لون بشرته.

بقي في القصيم مدة إجازته ثم عاد إلى عمله في الشمال، ولم يسمح له والده بأن يرجع إلى الشمال كما أتى (وحيداً على ناقته)، بل أمره بأن ينتظر سيارات البريد، فإذا جاءت إلى القصيم ركب معها نحو الشمال، فرضي بذلك وكان لوالده ما أراد.



وفي أثناء عمله ~ في منطقة الجوف كانت الدولة تعاني من مشاكل التهريب بين الحدود السعودية والأردنية، وكان التهريب يشمل أموراً كثيرة منها البضائع والبهائم والسجائر وممنوعات أخرى.

وكان المركز الذي يرأسه الوالد والمراكز الحدودية الأخرى معنية بشكل كبير بمكافحة هذا التهريب، وكان من ضمن الخطة التي وضعتها أمارة المنطقة -لأجل مكافحة التهريب- أن وضعت جوائز مالية كبيرة لمن يلقي القبض على المهربين أو على الممنوعات التي يقومون بتهريبها.

ولكن الأمر لم يكن من السهولة بمكان، فالمهربون الخارجون على النظام، يعرفون جيداً ماذا ينتظرهم إن ألقي القبض عليهم، لذا فهم غاية في الحذر، وفوق ذلك هم غاية في البراعة في استخدام السلاح.

وكان مما يشاع عنهم أن طلقاتهم لا تسقط في الأرض، وإنما تصيب سيء الحظ الذي غامر واعترض طريقهم.

ومما زاد من هيبتهم أنهم قتلوا بعض من حاول القبض عليهم، وهم أيضاً لا يقومون بعملية التهريب بأعداد قليلة بل يصل عددهم إلى عشرة أشخاص على قدرٍ عالي من التدريب والشجاعة.

كانت الأمانة الملقاة على عواتق ضباط وأفراد الجيش كبيرة، فهم المسؤولون عن حماية البلاد من كل المواد المهربة والمحرمة شرعاً، لذا فقد كان لزاماً عليهم أن يعملوا بجد للتصدي للمهربين.

وكان ~ ضمن الكثير من الضباط الذين اهتموا بشأن مكافحة التهريب، فأخذ يجمع المعلومات عن التهريب والمهربين وعن طريقة عملهم، والطرق التي يسلكونها، وأعدادهم وعدتهم

في غالب عملياتهم.

ثم شرع في تنفيذ خطته للقبض على المهرّبين وما معهم، فاختار اثنين من أفضل جنوده وكان هو ثالثهم، وهذا عدد قليل جداً بالنسبة إلى المجموعات الكبيرة التي كانت تخرج للإمساك بالمهربين، وأيضاً بالنسبة إلى المهربين أنفسهم، ولكنه علم أن التفوق يأتي -بعد توفيق الله- بالذكاء وحسن التخطيط والتدبير، وليس بالكثرة فحسب.

وفي أحد الأيام جاءته إخبارية تفيد بأن المهربين سيقومون بعملية تهريب كبيرة في ليلة معينة، وأنهم سيسلكون أحد الأودية في طريقهم نحو الحدود، فطلب رفيقيه وخرج بهما في تلك الليلة إلى ذلك الطريق وأخبرهما بخطته.

قال لهما إن كل واحد منهم سيكمن في أحد الجبال المحيطة بالوادي ومتى سمع أي واحدٍ منهم

صوت المهربين فما عليه إلا أن يطلق الرصاص في الهواء، ثم يردّ عليه الآخران بطلقات مماثلة، وأكد عليهما أنه لا نوم هذه الليلة، بل سهرٌ حتى طلوع الفجر وأن من ينام فسيقتل على يد المهربين.

صلى كل واحدٍ منهم صلاة المغرب في مكمنه وبدأ الليل يرخي ستار الظلام في هدوء وصمت، ومضى الوقت حتى صلوا العشاء في مواضعهم، ثم مضى أول الليل ولم يُسمع للمهربين صوت، ومضى نصف الليل بدون أن يمر أحدٌ بالوادي، وقبيل طلوع الفجر .. دوّت طلقاتٌ في سماء الوادي، فضجت الجبال وعاد صداها وتبع هذا الطلقات سلسة من الطلقات الكثيفة من هنا وهناك وارتجّت الجبال، فملأ الذعر قلوب المهربين، وتفرقوا هاربين نحو قمم الجبال، ولسان حال كل واحدٍ منهم : سآوي إلى جبل يعصمني من الموت.

سيطر الخوف على قلوب المهربين وعقولهم، فهربوا لايلوون على شيء، وتركوا خلفهم بضائعهم وكل الممنوعات التي أرادوا تهريبها !! وقد ملأهم الذعر والرعب مما ظنوه جيشاً مدججاً بالسلاح يحاصرهم من كل جانب.

طلع الصبح وأشرقت الشمس فإذا الوادي مليء بالبضائع المهربة والدواب المحمّلة، اجتمع الثلاثة وهنأوا بعضهم على هذا النجاح الكبير.

وعندما ابتعدوا عن الوادي نظر الوالد بالمنظار المقرّب فإذا به يرى رجلاً ينزل من الجبل متجهاً نحو بغلٍ لم ينتبهوا له أسفل الجبل، فأمر أحد الجنديين ليذهب فيحضر الرجل والبغل.. ففعل.

ولمّا وصل الرجل عندهم نظر إليهم متعجباً وقال:" أنتم فقط ؟ لقد ظننا البارحة أن جيشاً يحاصرنا"

وكان هذا الأمر بالتحديد هو ما اراده الوالد ~ من وراء الاختباء في الشعاب، والاستفادة من الصدى بين الجبال.

مضوا في طريقهم نحو المدينة فلمّا وصلوا بسلام، تم تسليم المهرّب والدواب والمواد المهربة إلى الإمارة، فحصلوا على مكافأة مجزية.

وشاع خبرهم في المدينة وخلال فترة قصيرة خرجت مجموعة كبيرة من الجنود وغيرهم يريدون أن يحصلوا على جائزة مثلهم، وكان معهم من العدة والعتاد الشيء الكثير، وعندما عسكروا بالوادي غلبهم النعاس فناموا عن آخرهم، فلم توقظهم إلا فوهات بنادق المهرّبين عند الفجر، فسلبوهم كل ما لديهم من عدة وعتاد.

وفي ذلك يقول ~ :

يـــوم إلتقينـــا في بعيـــد الـــبلادِ

صـــادوه رجـــالٍ للـــغنايمْ تـــصيدِ

الـــرأيْ والتـــدبيرْ قبـــل العتـــادِ

واللـــي رَقَـــدْ واجـــهْ حـــسابٍ شـــديدِ

وفي التهريب ومشاكله التي عانى منها ~ ما حدث من أحد الجنود في المركز الذي يتولى رئاسته، حيث كان هذا الرجل- قبل أن يتم تجنيده- رجلاً فقيراً ذا عيال، فجاء إلى الوالد وطلب منه أن يتوسط له كي يعمل معهم في الجيش ففعل، ثم توفيت زوجة هذا الرجل فساءت حالته جداً، و في أحد الأيام جاء إليه وأخبره بأنه مسافر لمدة يومين لأمر ضروري فطلب إجازة، ثم قال انه لا يجد مكاناً يضع فيه أطفاله، وطلب منه أن يكونوا عنده في منزله فلم يمانع ~ فذهب هذا الرجل وعمل في التهريب عبر الحدود، وكان يعود إلى عمله في حفظ الأمن ومحاربة التهريب -الذي يمارسه هو شخصياً في أوقات أخرى-، وفي أحد الأيام قُبض عليه متلبساً بتهريب التتن (التبغ)، فلما سُئل عن جريمته قال: إنما جلبت هذه البضاعة بأمر رئيس المركز النائب عبدالله الفريح ولأجله، وليس لي بها حاجة -وكان رفقاء السوء قد أشاروا

عليـه بـذلك، بعـد أن أوهمـوه أنـه سـينجو بفعلتـه إن ألصقها بالرئيس- لكنه لم ينجُ بكذبته بل أُحيل إلى رئيسه ومركزه.

قال لـه ~ : لِمَ قلتَ ما قلتْ وأنا قد أحسنت إليك وبذلت لأجلك ولم أقصّر معك ..!! فليس لك بعد اليوم إلا ما تستحقه، وأنت الآن تستحق العقاب على التهريب .. وعلى الكذب.

فـأمر بـه فـألقي علـى الأرض مكتوفـاً، وجـاء بجريدٍ رطب يريد أن يجلده، فبدأ يصرخ ويستنجد بالناس بأعلى صوته، فلما بدأ يجلده أخذ يستغيث ويقول: يا رسول الله.

فقال ~ : ومشرك أيضاً..!! ثم أوسعه ضرباً، لعظم جرمه وفساد ذمته، ثم أمر بسجنه، ولكنه لم يلبث أن أخرجه لأجل أطفاله، وحتى يسعى في كسب رزقه ورزقهم، ولكن ليس في الجيش

بل في أي مكان آخر.

وفي إحدى أسفاره بين الجوف والقصيم، ركب بالأجرة في سيارة نقل كبيرة (لوري) ومعه عدد غير قليل من المسافرين، فلما قطعوا أكثر المسافة انفجر أحد الإطارات، فنزلوا لإصلاحه، فكان السائق من البلادة بمكان بحيث لم يحمل معه مفتاح العجلات المناسب وإنما المفتاح الوحيد الذي معه هو مفتاح صغير لا يصلح لعجلات سيارته، وأعظم من ذلك أنه ليس لديه إطار احتياطي أصلاً، فتسابق الركاب إلى ظلال الأشجار وتحت المركبة ليتقوا حر الشمس، ويرتاحوا من عناء السفر، وكأن الأمر لا يعنيهم، وإنما يعني السائق فقط، وهو الذي سيهلك وحده إن بقي في هذه الصحراء المقفرة !!

جلس السائق يحاول أن يفك الإطار بدون جدوى، بينما بقي ~ يفكر في حلٍ لهذه المعضلة

المهلكة، ثم هداه الله ﷻ لفكرة فيها نجاة الركاب.

سأل ~ السائق: ألديك منشار حديد؟

السائق: نعم.

الوالد: أحضره لي حالاً، فقد خطرت لي فكرة.

أخذ ~ المنشار، وبدأ ينشر مفتاح العجل ويوسعه، ثم يقيسه على المسمار، ومكث في هذا العمل طوال العصر، فلمّا أقبل المغرب نجحت الفكرة، وأصبح مقاس المفتاح يناسب العجلة، عندها هبّ النائمون يقدمون المساعدة في حل المسامير.

ثم انتهت مشكلة وبقيت أخرى، وهي إصلاح الإطار المثقوب، فأخذ الركاب يقدمون الاقتراحات العجيبة، فقال أحدهم: نحشو الإطار بالعشب الرطب، وقال آخر: بل الجاف، وقال ثالث: نملؤه رمل، وهكذا..

أما هو ~ فقد عمد إلى قطعة مرنة من البلاستيك (لستك) وأوقد ناراً ثم أذاب أحد وجهي هذه القطعة، ثم ألصقها بالكفر مغلقاً بها الثقب، وضغط عليها بشدة، حتى لصقت بالإطار، فأمسك الهواء وبذلك صلح الإطار، فانطلقوا.

فلما أقبلوا على القصيم انفجر إطار آخر، عندها ترك المسافرون ذلك السائق البارع! وأكملوا بقية المسافة مشياً على الأقدام..!!

وحدث في إحدى السنوات العجاف التي عاشها في الجوف أن نضب الماء من البئر في مركز الجيش، فأرسل بصفته رئيساً للمركز إلى إحدى القطاعات التي كان لديها بئران، يطلب منهم أن يعطوا البئر الذي تشرب منه الجِمال لمركز الجيش، ليشرب منه الجنود ودوابهم.

رفض المسئول عن ذلك القطاع منح البئر للجنود بحجة أن هذا البئر مخصص للجمال التابعة لهم ولا يمكن التخلي عنه.

اقترح الوالد عليهم أن يرسلوا الجمال لتَرِد (الهوج)[1] ويمكّنوهم من البئر، فرفض المسئول رفضاً تاماً، فطلب منهم أن يشركوهم في بئرهم فلم يستجيبوا له، فلم يكن هناك بُدّ من التصرف بحزم فلا يمكن أن يترك الجنود ليهلكوا من العطش.

---

(١) الهوج: مورد ماء معروف في الشمال، يتبع إدارياً لمنطقة تبوك.

أمر الجنود بالذهاب إلى البئر المخصص للجمال وكسر القفل الذي عليه، فإذا ما شربوا وارتووا هم ودوابهم فليضعوا قفلاً جديداً، ثم تخيّر أفضل الجنود وأمره بحراسة البئر بسلاحه.

اشتكى أصحاب البئر إلى القاضي فلما سمع حجتهم وحجته، قضى له وزجرهم على فعلتهم الشنيعة.



وفي عام ١٣٦٨هـ وحين حدثت نكبة فلسطين واحتلها اليهود، أرسلت حكومة المملكة جيشاً لقتال اليهود، كما فعلت أكثر الدول العربية، وكان إرسال الجنود يتم من الطائف، فأرسل ~ برقية إلى وزارة الدفاع يطلب نقله إلى الطائف، لكي يتسنّى له الالتحاق بالدفعة التي ستذهب إلى فلسطين، فتم نقله إلى الطائف، ولكنه عندما وصل إلى الطائف كانت الدفعة الأخيرة قد رحلت إلى الجبهة، فلم يستطع اللحاق بهم، ثم جاءته الترقية إلى رتبة وكيل[1]، في الفوج المركزي في الطائف، فاستقر بها ولم يرجع إلى الشمال.

وبانتقاله إلى الطائف انتهت فترة أحد عشر عاماً قضاها في المناطق الشمالية من المملكة، فرحل عنها

---

(١) وكيل: رتبة عسكرية قديمة يعادلها الآن رتبة رقيب.

من غير عودة، وانتهى عقد من الزمن بكل ما فيه من ذكريات ومتاعب وآمال وآلام.

عمل ~ في الطائف عدة أشهر، ثم سافر إلى القصيم لزيارة أهله وأقاربه، وحين عاد مكث في الطائف ثلاث سنوات عمل فيها في الفوج المركزي وفي إدارة السجن.



وفي مدينة الطائف وفي شهر ربيع الأول من عام ١٣٧١هـ رزق بأول مولود له، وكان ابنه محمد.

وفي منتصف عام ١٣٧١هـ انتقل ضابطاً إلى مكة المكرمة، ثم عاد إلى الطائف برتبة ملازم ثانٍ في عام ١٣٧٢هـ في الفوج الأول بالطائف.

وهناك قصة عجيبة حصلت له في الطائف، ففي أحد الأيام حين خرج من منزله بحي (معشّي) إلى صلاة الفجر قاصداً المسجد، فلما كان في منتصف الطريق لقيه الإمام عائداً من المسجد متجهاً نحو منزله، وكان مستعجلاً في مشيته مُعرضاً عنه ~ ، فلما حاذاه قال: "تأخرت يا عبدالله" .!! ولم يقل له غير ذلك، بل ولم يقل له السلام عليكم...، ومضى في طريقه حتى اختفى وسط الظلام...

قال ~ : "فهممت أن أعود إلى البيت بل وشرعت في ذلك، ولكنني كنت أعرف الوقت جيداً وأنا متأكد من أني لم أتأخر، فقلت لنفسي لعل الجماعة بكّروا في الصلاة هذا اليوم...! سأذهب إلى المسجد فلربما وجدت آخرين ممن فاتتهم الصلاة فنصلي جماعة، ثم عزمت على الذهاب، فمشيت إلى المسجد وأنا أفكر في تصرف الإمام وأتعجب من فعله، فهو لم يسلّم علي، ولم ينظر إلي، فلما دخلت

المسجد كانت أمامي مفاجأة صُعقت منها..!!

كان الإمام في مكانه يتلو القرآن كعادته قبيل الصلاة، وجماعة المسجد بين متنفلٍ وتالٍ للقرآن، ولم تقم الصلاة بعد، فتأمّلت وفكّرت في الأمر!! فعلمتُ أن الذي لقيني منذ قليل لم يكن إلا شيطاناً من الجن، تمثّل بصورة الإمام ليصرفني عن صلاة الجماعة".



وفي عام ١٣٧٤هـ انتقل إلى القصيم حين حصل على ترقية إلى رتبة ملازم أول في المدرسة العسكرية في بريدة.

وفيها حدث له موقف طريف وهو أنه كان يسكن في بيت إلى جوار المسجد، وكانوا آنذاك يحضّرون المصلّين بعد الصلاة للتأكد من حضورهم صلاة الجماعة، ويبدو أن الإمام في نفسه شيء تجاه الوالد، ففي أحد الأيام وبعد أداء صلاة الفجر بدأ التحضير وحين ذكر اسم الوالد- وكان في طرف الصف- أجاب ولكن الإمام لم يسمع، فانبرى يعرّض به ويقول: بعض الناس بيتهم إلى جوار المسجد ولكن لا يحضرون الصلاة، فقام ~ منصرفاً وقال بصوت جهوري: إن كنت تقصدني فأنا هنا، فبهت ذلك الإمام، واسقط في يده وكان درساً له.

بقـي في بريـدة وفي مدرسـتها العـسكرية ثـلاث سـنوات، بعـد ذلـك انتقـل إلى سـرية الهـاون في قاعـدة الـخرج برتبة (رئيس)[1] عام ١٣٧٧هـ.

---

(١) رئيس: رتبة عسكرية قديمة تم تعديلها إلى رتبة نقيب.

وفي عام ١٣٨٣هـ أصبح (وكيل قائد)[1] في مستودعات الأسلحة والذخيرة بالطائف، وفي تلك المدة حصل خلاف بينه وبين أحد المسؤولين، وحاول ذلك المسؤول أن يسيء إليه أكثر من مرة.

ومن ذلك ما حصل إبّان حرب اليمن، حيث وصلت إلى المستودعات -التي كانت تحت إشرافه- إرسالية كبيرة من الذخائر، وكانت محملة على سيارات نقل كبيرة، ووصلت إلى المستودعات في الليل، وتم الإلحاح عليه أن يتم تفريغها فور وصولها، فاستنفر الجنود العاملين هناك لإنزالها، ولكن كانت هناك الكثير من المصاعب، مثل عدم استيعاب المخازن لهذه الكميات الكبيرة من الذخائر، وعدم وجود إنارة في المخازن، فأنزلوا الذخائر، وبأمر منه ~ وضعوها كما هي على

---

(١) وكيل قائد: رتبة قديمة تم تعديلها إلى رتبة رائد.

الأرض وتم تغطيتها بأشرعة عازلة عن الماء، خشية فسادها بسبب المطر الذي قد يهطل في أي وقت، فقد كان الفصل شتاءً، وحصل بالفعل أن تلك الليلة كانت ليلة مطيرة.

أراد ذلك الشخص استغلال الوضع بطريقة لئيمة، فخرج من الغد مع مجموعة من زملائه وأصدقائه، وطلب منهم أن يقوموا بجولة تفقدية معه، وكان أول مكان تفقدوه هو المستودع الذي بالأمس، فلما رأى من معه الذخائر على الأرض- وقد أصابت مياه الأمطار الأشرعة - قام بتضخيم الأمر لهم، وأفهمهم أن الماء لم يصب الأشرعة فقط، بل الذخائر أيضاً، وطلب منهم أن يكتبوا معه برقية إلى وزير الدفاع، فكتب خطاباً يسيء فيه إلى الوالد ~ بشكل كبير، وكان مليئاً بالتهم والتلفيقات، ثم إن الله سبحانه وتعالى لم يوفق ذلك الرجل، فقد فضح نفسه بنفسه، فكتب في آخر الخطاب يطلب مبلغاً كبيراً من النقود

لبناء مستودعات جديدة ومجهزة لأن المستودعات الموجودة قليلة وصغيرة وغير مجهزة.

جاء وفد من الرياض إلى الطائف في اليوم التالي وبشكل عاجل لتقصي حقيقة الأمر حيث ظهر بوضوح أنها شكوى كيدية.

يقول ~ : "في اليوم التالي وبينما أنا والجنود نعمل في الصباح الباكر ونعيد ترتيب الذخائر إذا بلجنة تقصي الحقائق تدخل علينا ، فأخبروني بالشكوى المرفوعة ضدي، فأوضحت لهم الأمر واجتهادي فيه، فما كان منهم إلا أن قبلوا الحقيقة وجاء الجزاء الرادع لذلك المسؤول الذي كشف الله أمره".

وفي هذا الأمر يقول:

الحمـــــدْ للّهْ في وعـــــودهْ صـــدقني

وأنعـــمْ علـــيّ الـــرّبْ في كـــل ميـــدانْ

دافـــعْ عـــدوٍ كـــادْ كيـــدهْ يـــصبني

وأظهرنـــيَ المـــولى علـــى كـــل عـــدوانْ

هـــزمْ عـــدوٍ مـــن ورايـــهْ غـــدرني

اللـــي تظـــاهرْ بالـــصداقهْ و لا بـــانْ

يـــوم انكـــشفْ أمـــرهْ وربـــي نـــصرني

جـاه الجـزا العاجـلْ علـى يـد سـلطانْ[1]

والكـــذوبْ اللـــي بكذبـــه ظلمـــني

ظُلـــمٍ علـــى كيـــدٍ وزورٍ وبهتـــانْ

---

(١) سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز (حفظه الله)، ولي العهد ووزير الدفاع ، وقد أنصف الوالد في هذه المشكلة التي كيدت له .

وبقـي في ذلـك المنـصب حتـى حـصل علـى الترقيـة التالية وكانت إلى رتبة مقدم، وكان ذلك عام ١٣٨٧هـ.

وفي عـام ١٣٩١هـ عُـين مـديراً للتمـوين بالطـائف على رتبة عقيد، وفي ذلك العام بنـى منـزلاً لـه في مكـة المكرمـة بحـي العزيزيـة، وكـان ينـزل فيـه في أوقـات مختلفة.

وفي مطلـع عـام ١٣٩٥هـ حـصل علـى ترقيتـه العسكرية الأخيرة إلى رتبـة عميـد، في نفس المنـصب السابق، وبقي على ذلك مـدة ثم تقاعـد ~ مـن عمله في وزارة الدفاع أواخر ذلك العام.

بعد التقاعد انتقل من الطائف إلى المدينة، وكان ~ قد اشترى مزرعة في المدينة أثناء عمله في الجيش، وذلك في عام ١٣٨٠هـ تقريبًا، فنزل في تلك المزرعة وكان فيها بيت له يتوسطها، فمكث في المدينة ثلاث سنوات، وفي السنة الثالثة أصابته وعكة صحية اضطر لأجلها أن يسافر إلى لندن للعلاج، وكانت رحلته إلى لندن من المراحل المفصلية في حياته ~، حيث رأى في لندن أمورًا أذهلته وغيرت مجرى حياته فيما بعد.

مكث في لندن بضعة أسابيع وبعد انتهاء العلاج عاد إلى المملكة وبمجرد أن وصل إلى المدينة المنورة أخبر أهله وجميع أبناءه أنه قد عزم على الانتقال من المدينة والاستقرار النهائي في مكة المكرمة بلد الله الحرام وأشرف موضع في الأرض.

وبالفعل انتقل من المدينة إلى مكة بسرعة كبيرة ولم يأخذ الراحة المناسبة والمفترضة بعد سفره الطويل من لندن ولم يخلد إلى الراحة رغم أنه في فترة نقاهة.

ولم يشعر بالراحة والاطمئنان إلا بعد أن استقر في منزله بمكة المكرمة و الذي كان قد بناه بحي العزيزية أثناء عمله في الطائف.

هذا الانتقال المفاجئ أثار التساؤلات العديدة لدى أهله فأخبرهم أنه عندما كان في لندن شعر بالحسرة على التقصير في العبادة وعدم التقرب إلى الله بما فيه الكفاية، والمبالغة في العبادة، فتعجبوا من كلامه أشدّ العجب، وسألوه: شعرت بكل ذلك في لندن!! فهل رأيت فيها مسلمين يبالغون في العبادة والتقرب إلى الله والزهد في الدنيا!!

فقال لهم: رأيت في بريطانيا ما لم أره هنا

في بلاد المسلمين، رأيت الأراضي الخضراء على امتداد البصر، والسماء ممطرة أكثر الأوقات، والطيور تُحلّق في السماء بأنواع شتى وتجتمع عند البحيرات، والحيوانات أنواع وأشكال ما بين أليف وبرّي، وجميع أنواع الأطعمة والأشربة، تعرف بعضها وتجهل أكثرها.

فقلت في نفسي: إذا كانت هذه دنيا الكفار!! فكيف بآخرة المؤمنين! وإذا كان هذا نعيمهم على كفرهم فكيف يكون نعيمنا نحن وقد آمنا بالله ورسوله ﷺ !!

فقررت وأنا في بريطانيا أن أقضي ما بقي من عمري في مكة المكرمة حرصًا على مضاعفة الحسنات، فالصلاة بمكة بمئة ألف صلاة، وعلي أن أفني عمري في التقرب إلى الله وطاعته والانشغال بذلك عن كل شيء آخر.

ولهذا لـزم ~ مكـة المكرمـة ولم يغادرهـا إلا نـادرًا وعلـى مـدى عقـدين ونـصف مـن الزمـان، بقـي في مكة حتى وافاه الأجل، نسأل الله أن يتقبل منه.

ولهذا عندما نزل بمكة واستقر فيها إنما كان يهدف من وراء ذلك إلى تحصيل الأجر والثواب المضاعف بمكة، حيث الصلاة الواحدة بمئة ألف صلاة فيما عداها، ويرى بعض العلماء أن الأمر يتجاوز الصلاة إلى الطاعات الأخرى، فكان لا يغادر مكة لأي أمر كان، ما لم تكن ضرورة لا يجد منها بُداً، فلا يخرج من حدود الحرم إلا فيما ندر، وقد يمضي العامان والثلاثة وهو لم يغادر مكة ولو لساعة، بل إن المرات التي غادر فيها مكة -لبضعة أيام أو ساعات- على مدى ٢٥ عاماً تعد على أصابع اليد الواحدة.



أبـرز صفاتـــه :

محبة العلم وتعظيم شـأنه ، وهـي مـن أظهـر صـفاته وأبرزهـا ، فقـد كانـت محبتـه للعلـم وأهلـه عظيمـة ، وكـان يحـث أبنـاءه علـى طلـب العلـم وحفـظ القـرآن والتفقـه في الـدين وتعلـم العلـوم بأنواعهـا ، وكـان يلقـي علـى أهـل بيتـه درسـاً في العلـوم الـشرعية ، ويكثـر مـن نـصحهم وتـوجيههم إلى مـا فيـه خـير الـدنيا والآخـرة ، وكـان يقـرأ في الكتـب الـشرعية والأدبيـة دائمـاً ، وفي بعـض الأحيـان يقـرأ أحـد أبنائـه عليـه ، وكـان يـصحح للقارئ أي غلطة علمية أو نحوية فور سماعها وبشكل يبهر القارئ.

ومنــذ نــشأة أبنائــه وبناتــه وهــو يعــدهم للــتعلم ، ويحببــه لهــم وكـــان يدرّســـهم في البيــت ، ويعلمهـــم الكتابـة والقـراءة ، ثـم يلحقهـم بالمدارس الحكوميـة ، ومن ذلـك أنـه عنـدما كـان يعمـل في مدينـة الخـرج عـام

١٣٧٦هـ تقريباً وضع لوحة تعليمية(سبّورة) ليدرّس عليها أبنائه، فكان يكتب الكلمة على اللوحة، ثم يطلب منهم أن يكرروها عدة مرات في كرّاساتهم.

وكان يحث أبناءه وبناته على طلب العلم والتفوق فيه، ونتج عن هذا الحرص الكبير أن حصلوا على الشهادات الجامعية في تخصصات مختلفة ودرسوا الدراسات العليا وحصلوا على الدرجات العلمية العالية، وصنفوا الكتب، وألقوا المحاضرات والدروس ومارسوا الإرشاد والإفتاء.

وقد تأثر أبناؤه بتوجهه وحبه للعلم الشرعي، فتخرّج أكثرهم من كليات شرعية، وكان يحث أبناءه على حفظ كتاب الله والعمل به، وكان يلحقهم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد، ومن ثمرات ذلك الاهتمام أن حفظ أكثر أبنائه قدراً كبيراً من كتاب الله، وأتمّ بعضهم حفظه كاملاً.

ومن شعره:

والعلـــم نـــورٍ في طريـــق العبـــادهْ

واللـــي يريـــد العلـــم ربـــي يزيـــدهْ

ومما يلاحظ في شخصه ~ أنه نشأ في أسرة فيها علماء وطلاب علم، مما كان له أثر واضح في توجهه واهتماماته، فطلَبَ العلم وحصل على قدر منه، وعلّم أبناءه وحرص عليهم فتخرّجوا بين يديه حتى أصبحوا أساتذة في الجامعات ودور العلم والتعليم.

حدثني أخي الدكتور صالح أنه ومنذ صغره وهو يسمع الوالد ~ يحث على مواصلة الدراسة والتعلم، فعقد العزم على مواصلة الدراسة فتم له ذلك بفضل الله تعالى أولاً ثم بسبب اهتمام الوالد بهذا الأمر.

وكان قد اتصل بالوالد ~ هاتفياً قبل وفاته بأيام وأخبره بأنه قادم من القصيم إلى مكة لزيارته

والسلام عليه، فأبى عليه، وأمره بمواصلة بحثه والاهتمام به- حيث كان يعد لرسالة الدكتوراه- فأخبره أنه انتهى للتو من فصلٍ كامل، وأنه يرغب في العمرة والسلام عليه فأذن له، فجاء إلى مكة، ووصل إلى بيت الوالد وهو في صلاة العشاء، فجلس في المنزل ينتظر عودته من المسجد، ولكنه لم يعد من المسجد أبداً، فقد توفاه الله سبحانه وتعالى في المسجد عقب صلاة العشاء.

وكان ~ كثيراً ما يردد قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، والحديث الصحيح: "فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب"[2].

- - - - - - - - - - - - - -

(١) سورة الزمر: الآية (٩).

(٢) سنن ابن ماجه (٢٢٣)، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، صفحة [٥٦]، مكتبة المعارف، ط١.

وكان يحب اقتناء الكتب العلمية ومطالعتها والاستفادة منها، وعندما تقدم به العمر وثقُلت عليه القراءة أصبح يطلبُ من أبنائه أن يقرؤا عليه ما يختار من الكتب، وقد أنفق الأموال الكثيرة في طباعة الكتب الدينية ونشرها، وكان يخفي ذلك فلا يعلمه أحد، ولم أعلم به إلا بعد وفاته، حيث اطلعت على مجموعة نسخ من كتبٍ دينيةٍ مختلفة أخبرني من تولى طبعها أنها طُبعت على نفقته ~ ، فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منه.

"وكان محباً للدعاة والعلماء وطلبة العلم يسأل كثيراً عنهم ويدعو لهم"(١)، وكان يهتم لأخبارهم ويأنس بهم ويناصحهم، وقد استضاف في منزله الكثير من العلماء والدعاة من داخل البلاد وخارجها،

---

(١) هكذا وصفه الشيخ الدكتور يوسف بن عبدالله الوابل في خطاب لدى المؤلف.

وكـان يكـرمهم ويقـدّر دورهـم العلمـي والـدعوي المهـم في إصلاح الفرد والمجتمع.

الــورع والزهــد، لم يـسـعَ ~ في طلــب الــدنيا وملـذاتها وإنمـا كـان أقـصى مـراده فيهـا الكفـاف والستر، ولم يكـن يحـرص علـى جديـد اللبـاس وفـاخر الطعـام، بـل ربمـا كـره ذلـك واسـتنكره، ولطالمـا سمعتــه يــردد قــول الله تعــالى: "وكلــوا واشــربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين"[1]

وكان يكثر من ذم الدنيا والتحذير من التعلق بها، وأنها دار امتحان وبلاء، ويرغّب في الآخرة والعمل لأجلها، ففيها النعيم المقيم والحياة الخالدة، ولقد أعرض عن الدنيا ومغرياتها التي تعقب الحسرة والندم.

كان ~ حسن المظهر، مهيباً، تسبقه رائحته الطيبه -لحرصه على التطيب دائماً- يلقى الناس بابتسامة هادئة صادقة حتى وإن كان لا يعرفهم ولا يعرفونه.

- - - - - - - - - - - - - -

(١) سورة الأعراف، الآية (٣١).

وكـان ذكـر الله دائمـاً علـى لـسانه لا يفارقـه، وقد حصل له موقف طريف في هـذا الأمـر، ففـي أحـد الأيـام كـان يمـشي في طريقـه فمـرّ علـى أنـاس قـد اجتمعوا إلى جانب الطريق يتحدثون -وكان يذكر الله في نفسه- فلمّا اقترب منهم قال لهم مسلّماً عليهم: سبحان الله - يريد: السلام عليكم..!!

ومـن ذلـك أيـضاً مـا حـدث لـه في عـام ١٤١٦هـ، حين سقط من أعلى نخلةٍ في فناء داره بمكة، وكنت أنا حينها في حجرتي في الطابق الثاني فسمعت صوت اضطراب سعف النخلة، ثم صوت ارتطام قوي لجسم ما بالأرض، ثم سمعت تأوهات، فنزلت من حجرتي واتجهت ناحية الصوت وهناك رأيت والدي ~ ممدداً على الأرض وهو يردد بصوت واضح ..الحمد لله.. الحمد لله.. في تلك اللحظات العصيبة المؤلمة كان يذكر الله وكأنه في كامل صحته وقوته..!!، بينما هو في حقيقة الأمر بدأ يفقد وعيه من شدة الألم،

وقد أدخل إلى المشفى وتلقى بها العلاج اللازم ثم خرج منها بحمد الله سليماً معافا.

كان حرصه على صلاة الجماعة والتبكير إليها كبيرًا جدًا ، فمن ذلك ما حدث أثناء عمله في الجيش إذ كان في دورة عسكرية بالطائف، وكان الدرس يستمر في وقت الصلاة، ولكنه كان ينبه المُحاضر إلى دخول وقت الصلاة مرة تلو أخرى، حتى إن المحاضر ضجر منه في إحدى المرات وقال له: "أشغلتنا يا مطوع، رح صلِّي لوحدك واتركنا"، فذهب هو وبعض رفاقه وأدركوا الجماعة.



وفي أمر الصلاة أيضاً وحرصه عليها كان له موقف طريف في الشمال مع أحد الجنود العاملين في مركز الجيش، وكان اسمه عوض، وكان عوض ثقيل النوم فإذا حضرت الصلاة وهو نائم تعب أصحابه حتى يوقظوه، وكان الوالد يحرص كثيراً على صلاة الجماعة وأن يحضرها الجميع، فكان يوقظ عوض بنفسه، ويقضي في ذلك الوقت الطويل، حتى أصبح يناديه ويداعبه قائلاً: (يا عوضْ قم تَوَضْ-يا عوضْ قم تَوَضْ) أي توضأ، حتى يستيقظ.

ولّما انتقل إلى مكة المكرمة واستقر بها كان حريصاً على إدراك فضل الصلاة داخل حدود الحرم حيث الأضعاف المضاعفة، فكان لا يخرج من مكة إلا للضرورة القصوى-خشية أن تدركه الصلاة خارج الحرم- وإذا خرج أولاده في نزهة خارج الحرم عاد قبيل الصلاة إلى داخل الحرم حتى يدرك الفضل،

وكان مع ذلك ملازماً للصف الأول في المسجد، فلا أذكر أني رأيته متأخراً إلا في ظروف نادرة جداً، فإذا تأخر عن الصلاة ففاته شيء يسير منها تأثر لذلك كثيراً.

الكــرم، يقــول عنــه جــاره الــشيخ عبــدالرحمن الشلوي:

في حــدوْ بيتــه حــطّ مطــبخ ومعــلاق

ويفــرح ليــامنّ الرياجيــل جــو لـــه

مــا يــذبح إلا مِــن كــبيرات الأشــناق

مــاهوب يرخــي الــراس لاجــاه دولــه

وأيــضا ومــع ذلــك يحــب التــصدّاق

يـــمناه لاعنقـــه مهيـــب امغلولـــه

ويقول الشيخ د. يوسف الوابل:"والشيخ عبدالله الفريح معروف بكرمه ومحبته للخير.. فقد عمل في منزله مطبخاً للفقراء يعد فيه الطعام للفقراء ويوزعه عليهم بواسطة أبنائه وأبناء الحي ويرسل كذلك إلى المسجد الحرام للفقراء والمساكين بوجبات يومية فرحمه الله وجزاه على ذلك الجزاء الأوفى"[1].

فالكرم عنده ~ لم يكن لأقاربه أو زملاءه وأصدقاءه فحسب، وإنما قبل ذلك هو العطاء لمن لا يسألون الناس إلحافا، للفقراء والمساكين، الذين لا يدعوهم أحد إلى الموائد ولا يحضرون المناسبات.

---

(١) المصدر: وثيقة كتبها الشيخ الدكتور يوسف بن عبدالله الوابل، موجودة لدى المؤلف.

وصفة الكرم فيه صفة أصليه، وطبعٌ وجِبلّةٌ وسجية، ويصح فيه قول الشاعر:

تــــراه إذا مــــا جئتــــه مــــتهللاً
كأنــك تعطيــه الــذي أنــت ســائله

وما كان ~ يرد مسكيناً ولا ينهر سائلاً بل على عكس ذلك، وأذكر أنه في عام ١٤١٥هـ استضاف في منزله رجلاً مغترباً من الأفغان، قد تبين للوالد ~ ضعف حال الرجل وغربته، فكان الرجل يأتي كل يوم وقت وجبة (الغداء) فيتناول طعامه ثم ينصرف وأخذ على هذه الحال زمناً طويلاً حتى عاد إلى بلاده.

وكان في مكة أناس أجانب مغتربون،ولم يكن لديهم مصدر رزق، وهم موجودون بكثرة وغالبيتهم من أفريقيا جاؤوا للعمرة أو الحج، ثم مكثوا بمكة يبحثون عن رزقهم، فكانوا يأتون إلى بيته فيوزع عليهم الطعام والنقود، وكانوا في البداية أفراداً، ثم تكاثروا فصار الشارع يغص بهم، فكان ~ يوزع عليهم بنفسه، ويطلب من أبنائه تنظيم التوزيع حتى يحصل كل واحد من هؤلاء المساكين على نصيبه، ثم أصبح الرجال على رصيف والنساء على الرصيف المقابل في منظر عجيب ومثير، واستمر الأمر على هذه الحال منذ عام ١٤١٤هـ تقريباً حتى وفاته عام ١٤٢١هـ

وكان في بيته عدد من أشجار النخيل المثمرة، وكان يوزّع إنتاجها على أقربائه في مكة وخارجها، وعلى جيرانه و على المساكين الذين يطرقون بابه.

ولم يزل أولئك المساكين يأتون لمنزله حتى بعد مرور عدة سنوات على وفاته ويسألون عنه ويحزنون لوفاته فيذكرونه بخير ويعزّون أهل بيته ويدعون له.

الرؤيا الصالحة، كان له ~ مع الرؤيا شأن عجيب، فكثيرٌ من الرؤى التي رآها وقعت كما رآها أو قريباً من ذلك، ومن المناسب أن أورد بعضاً مما أذكره منها:

- حين كان يعمل في الشمال كان الناس يضعون علامات في الطرق من الصخر والحصى يسمونها (رِجْم)، وكانت توضع بين المدن والقرى لتدل الناس على الوجهة الصحيحة، ويطلقون عليها اسم واضعها، فيقال رجم فلان، وكان هو قد وضع رجماً، وبعد سنوات رأى في المنام أن رجْمه قد هُدم، فلما استيقظ أخبر زملاءه وأصدقائه، أن رحيله عن الشمال بات قريباً ..!! فكان ذلك، حيث انتقل إلى الطائف-لظروف طارئة سبق ذكرها-وبقي في الطائف ولم يعد للشمال بعدها.

- في عام ١٣٩٠هـ وعندما كان يعمل بالطائف، رأى أنه رزق بولد ذكر، وكانت زوجته -أم محمد- في الشهر الأخير من الحمل، فحكى لها الرؤيا وبشّرها بالولد وأطلق عليها اسم (يوسف)، ثم سافر إلى مكة المكرمة ليوم واحد، وعندما عاد من الغد، وجدها قد وضعت ابنه يوسف -كما في الرؤيا تمامًا-.

- وفي مدينة الطائف، عاد من صلاة الفجر في أحد الأيام وآوى إلى فراشه، وبعد غفوة يسيرة استيقظ وطلب من ابنه إبراهيم سرعة تجهيز السيارة والذهاب معه، وعندما ركبا سأله ابنه: إلى أين؟ قال: "إلى (شهار)[1] فقد رأيت رؤيا منذ قليل بأن مركبة ثقيلة (جرّافة) تعبث في أرضي هناك"، وأخبرني أخي إبراهيم أن الوالد كان مستعجلاً ولم تكن عادته كذلك، مما جعل إبراهيم يسأله عن سر تلك العجلة

(١) شهار: من ضواحي الطائف قديماً، وهو الآن من أحيائها المعروفة.

فقال له: إن الرؤى التي أراها عند اقتراب الصباح لا تلبث أن تحدث- إن صدقت- بخلاف ما أراه أول الليل فإنه إن صدق فهو لا يحدث إلا بعد مدة طويلة.

وصلوا إلى الأرض المقصودة فوجد الوالد أن جميع أحجار البناء الصخرية التي كان قد اشتراها منذ أيام قد سُرقت للتو، ولم يبق منها شيء.

- في عام ١٣٩٩هـ سافر إلى لندن للعلاج وكان يرافقه ابنه إبراهيم، وفي لندن لقي إبراهيم صديقاً له اسمه(علي الوهيبي) فحصل بينهما زيارات فلما أراد الوهيبي السفر قال لإبراهيم: أريد أن أودّع الوالد فذهبا لزيارته في المشفى فلما دخلوا عليه رأوا وجهاً غير الوجه الذي بالأمس فقد كان ~ مهموماً وقلقاً، فسألاه، فقال:"رأيت رؤيا أسأل الله أن يكفينا شرها"، فظن علي الوهيبي أنها فيه، فألح على الوالد أن يخبره بالرؤيا، فقال له: "إنها ليست فيك"، فألحّ

عليه جداً، وكان يسأله: هل سيحصل شيء للقطار الذي سأسافر به ؟ هل سيقع حادث ؟ هل سأموت ؟

فلم يجد بداً من إخبارهما بما رأى، فقال لهما أنه رأى مسجداً كبيراً لم ير مثله قط، وكان من طابقين الأعلى مسجد والأسفل بيوت، ورأى ناراً عظيمة تلتهم ذلك المسجد وكان بجوار المسجد أحد أبنائه..!!

انتهى العلاج وغادرا -والدي وأخي إبراهيم- لندن عائدين إلى مكة المكرمة، ثم انصرف أخي إبراهيم إلى مقر عمله في جدة -وهو آنذاك ضابط بالحرس الملكي- وبعد عام تقريباً وفي مطلع القرن الهجري الجديد حصلت فتنة الحرم بمكة المكرمة في يوم الثلاثاء ١٤٠٠/١/١هـ، وعندما ذهب إبراهيم إلى عمله أُمر بالتوجه إلى مكة فلمّا رأى الوضع المضطرب في مكة أراد أن يطمئن على والده وأسرته

فاتصل على منزل الوالد ولم يطل انتظاره..!!

فمـن أول إشـارة رُفعـت سماعـة الهـاتف وكـان الوالد على الخط الآخر.

إبراهيم: السلام عليكم.

الوالد: وعليكم السلام .... إبراهيم؟؟!!

إبراهيم: نعم.

الوالد: أنت في مكة؟؟!!

إبراهيم: نعم.

الوالد: إنا لله وإنّا إليه راجعون، لا حول ولا قوة إلا بالله...... يا بني أتذكر الرؤياً التي رأيتها في لندن العام الماضي ؟

إبراهيم : نعم.

الوالـد: فإنـه أنـت الـذي كـان بجـوار المـسجد المحترق..!!

فكـان المـسجد الكـبير هـو الحـرم المكـي، وكانـت النـار هـي الفتنـة، فالحمـد لله الـذي سـلّم إبراهيم من شرّها.

وفي آخر أيام حياته رأيت منه بعض الأمور التي أكاد من خلالها أن أجزم بأنه رأى في نفسه رؤيا قبيل وفاته، نعى فيها نفسه واستعد للرحيل، فرحمه الله رحمة واسعة وجمعنا به في دار كرامته.

العطف والرحمة، لم يكن عطفه ورحمته على أهله فقط أو معارفه بل ولا على البشر فحسب، وإنما على كل كائن حي، فقد كانت عاطفته جيّاشة ومشاعره مرهفة.

وتتجلى رحمته في معاملته للناس ولمن حوله من أسرته وأقاربه وجيرانه وغيرهم، وكان يحب مداعبة أبنائه وأحفاده ويعمل ببساطة على إدخال السرور على قلب كل طفل وتتجلى عواطفه في عباراتٍ لم يزل يمازح بها أبناءه وأحفاده حتى بعد أن كبروا.

وحدث أن توفيت ابنةٌ لاخته رقية (رحمها اللّه)، فتأثرت لأجلها تأثراً بالغاً، وكان حينها يعمل في الطائف وهي تسكن بمكة المكرمة، فكان يسافر من الطائف إلى مكة كل يوم ويذهب إليها يزورها ويواسيها، بل إنها ذكرت لي أنه كان يأخذها هي وأطفالها في سيارته إلى المنتزهات وإلى البرّية خارج

البلـد، وإلى أمـاكن مختلفـة في مكـة وضـواحيها ليخفف من أحزانها ويسليها عن مصابها.

كـان ~ لطيفاً مـع أقاربـه بـارّاً بوالديـه مؤدياً حق بِرّهما وصِلتهما فكـان يكـثـر الصدقة عنهمـا بـل أوقـف لأجلـهما الأوقـاف، فنـسأل الله أن يتقبـل منـه، وأن يرحم الجميع.



الطموح والمثابرة، من أعجب ما عرفت عن والدي أنه تعلم القراءة والكتابة على نفسه، نعم ..لقد استغرق ذلك وقتاً، ولكنه علّم نفسه، وقد ساعده حفظه للقرآن كثيراً في تعلم القراءة والكتابة، فقد كان يأتي بالمصحف فيقرأ من مكان معلوم ويضع إصبعه على الحروف وينطقها حرفاً حرفاً ثم يكتب الحروف في كراس خاص ويراجعها حتى أتقنها شكلاً ورسماً.

كان له جَلَد كبير في الطاعة والعبادة، وطموح إلى الخير ومثابرة عليه رغم ما يعتريه من الصعوبات، فقد كان يسافر من الطائف إلى مكة يوميًا في شهر رمضان إبّان إقامته في الطائف، فعندما ينتهي عمله يذهب إلى مكة ويمكث في الحرم، ويصلي العصر والعشائين والتراويح ثم يعود إلى الطائف.

بشد الفريح (ومضات وأبيات) ٠٠٣ ١٤٣٠/٠٢/٢٩هـ

ومـن ذلـك اجتهـاده في الـتعلم والدراسـة للترقّـي العلمي والـوظيفي، فقـد كانـت الترقيـات الـتي يحـصل عليهـا لا تـتم إلا عـبر اختبـارات صـعبة، فاجتهـد فيهـا كـــثيراً وكانـــت المـــذكرات المقـــررة علـــيهم في الاختبـارات كـبيرة الحجـم بالنـسبة لطـلاب الكليـة العـسكرية فضلاً عـن العـسكريين الـذين لم يلتحقـوا بالكليات مثل الوالد ~ .

كـان مـن اجتهـاده في المـذاكرة أن يقـرأ علـى نفسه المقرر طـوال النهـار ويسجل صـوته بالمسجل أثنـاء المذاكـرة، فإذا حضر الطعام ولم يستطع القـراءة أخـذ يـستمع للتـسجيل، وكـذلك إذا جـاء الليـل وأوى إلى فراشـه أعـاد الـشريط إلى أولـه وأخـذ يـستمع إلى المـادة من جديد، وذلك لضيق الوقت وصعوبة الاختبار.

وقـد تم لـه مـا أراد فقـد حـصل علـى الترقيـات الواحدة تلو الأخرى حتى حصل على رتبة عميد.

وكــان يطمــح ويتمنــى أن يكثــر أولاده وذريتــه، فاجتهـد في فعـل الـسبب فرزقـه الله ثلاثـة عـشر ابنــاً ذكراً، وبلغ عدد ذريته الذكور من أبناء الظهور فقط قرابة الخمسين نفساً، نسأل الله أن يبارك فيهم وينفع بهم الإسلام والمسلمين.

محبة الخير ومساعدة الناس، وأذكر قصة بهذا الصدد وهي أنه ركب البحر مسافراً في سفينة شراعية من جدة متجهاً شمالاً نحو مدينة الوجه، وكان الجو هادئاً والرياح يسيرة والبحر شبه ساكن، وكانت السفينة تبحر بسهولة وكل الركاب في طمأنينة وراحة، والهدوء يعم المكان، ولكنه كان (الهدوء الذي يسبق العاصفة) ولذا كان ربّان السفينة على العكس من ركّابها، فقد كان قلقاً من هذا الهدوء، وعندما ابتعدوا عن جدة مسافة كبيرة وأصبحوا في عرض البحر عصفت بهم الريح فجأة وهاج عليهم الموج، وأخذ يقذف الماء داخل السفينة، واشتدت العاصفة وارتفعت الأمواج حتى أصبحوا يرونها كالجبال إلى جانب السفينة، وكانت الرياح قوية إلى درجة أنها مزّقت شراع السفينة وأخذ الشراع يرفرف في الهواء حتى تطاير خيطاً خيطاً، ولذا فقد ربّان السفينة السيطرة عليها، فانحرفت عن

مسارها واعترضت الموج فصار يضربها من جانبها ويكاد أن يقلبها، وغرق نصف السفينة من موجة كبيرة واحدة، وكان مساعد ربّان السفينة يصيح بالبحارة ليساعدوه على رفع طرف الشراع الاحتياطي وربطه لإنقاذ السفينة، ولكن شدة الرياح دفعت البحارة لأن يتفرقوا في السفينة ويتمسّكوا بجوانبها خوفاً من أن تقذف بهم الرياح الشديدة إلى عرض البحر، حالهم كحال الركّاب، وكان الرجل يصرخ بصوت عالٍ فظيع ورهيب ينذر الجميع بالخطر والموت.

قال ~ : "وكنت أنا أيضاً ممن تمسكٌ بطرف السفينة فلمّا رأيت ما أصاب الركّاب والبحارة من رعب استعنت بالله فأعانني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فتركت مكاني، وذهبت أعاون مساعد ربّان السفينة، إحدى يديَّ تعمل معه والأخرى ممسكةٌ بحبل متين حتى لا أسقط في البحر".

فتعـاون الاثنـان علـى رفـع الـشراع الاحتيـاطي حتـى تمكنـا مـن ربطـه ورفعـه فاعتـدلت الـسفينة في آخـر لحظـة ولـو أدركـتهم الموجـة الثانيـة لكـان الهـلاك المؤكد للجميع.

وفي وصف هذه الحادثة قال ~ :

يـــارب (موســـى) يـــوم سِـيقت ســـراياه

مـــن كـــل جانـــب والبحـــرمن وراهـــا[1]

أنجـــين يـــا منجـــي نبيـــك مـــن أعـــداه

مـــن دار مكـــة للمدينـــة نـــصاها[2]

كـــان الـــسكون مخـــبّين في خبايـــاه

زوابـــعٍ تتـــزع مـــن القـــوع ماهـــا[3]

يـــوم اســـتطار المـــوج والمـــوج يـــتلاه

مثـــل الجبـــال الـــشاهقة في سماهـــا



- - - - - - - - - - - - - -

(١) موسى نبي الله عليه السلام.

(٢) نصاها: قصدها.

(٣) يخبئ : أي يخفي.

التواضع، وفي هذه الصفة قصة حكاها لي أخي إبراهيم وهي أن الوالد أثناء عمله بالجيش في مدينة الطائف، كان يذهب إلى العمل بالسيارة العسكرية وكانت جيب (لاندروفر) واستمر زمناً على هذا الحال، ثم ذهب إلى جدة واشترى سيارة جديدة من نوع كابريس من إنتاج ذلك العام ١٩٦٥م وكانت فاخرة وجميلة، فذهب بها من الغد إلى العمل، فلمّا أصبح في اليوم التالي لم يذهب إلى عمله بالكابريس ولا بالجيب بل ذهب بسيارته القديمة جداً من نوع وانيت فورد موديل ١٩٤٧م التي لا تليق أبداً بضابط مثله وبرتبته.

فسأله ابنه إبراهيم عن السر في ترك سيارته الجديدة والذهاب إلى العمل بسيارة متهالكة!! فقال له: يا بُني، بالأمس حين ركبت تلك السيارة الفارهة نظرت إلى نفسي.. فإذا بالنجوم تلمع على كتفيّ وإذا

بالـسيارة تلمـع نظيفـةً جديـدة ... فـأعجبتني نفـسي وشـعرت بـالفخر والزهـو، فـأردت اليـوم أن أهـين هـذه الـنفس حتـى لا تتكـبر، لـذلك ركبـت هـذه الخـردة كما ترى.

أعماله الخيرية، بعد أن عاش أكثر من نصف قرنٍ في كفاح مرير للعيش بكفاف وغنى عن الناس، شاء اللّه ﷻ أن يمُنّ عليه بأموال طائلة، دون أن يسعى هو في طلبها، فكدّرت عليه بقدر ما أسعدته، فقد علم أنها أمانة وأنها مستودعةٌ عنده وهو مسؤول عنها، فأخذ ينفقها في سبيل اللّه، وفي أوجه الخير المختلفة.

وبتوفيق من اللّه ﷻ ثم بنظرته الثاقبة، أنفق الكثير من الأموال على المحتاجين من ذريته وأقاربه جاعلاً ثوابها له ولوالديه.

ومن عطفه ورحمته بالمحتاجين من أهله وأقاربه وحرصاً منه على كرامتهم ومحبةً وتقديراً لهم كان هو من يذهب إليهم لتفقد حاجاتهم، وهذا أمر في قمة الشفقة والعطف ومراعاة المشاعر.

بنك الفريح (ومضات وأبيات) ٢٠٠٣ ١٤٣٠/٠٢/٢٩هـ

ومن صفاته البارزة أيضاً حرصه على وقته واستثماره بما ينفع، وكان كثيراً ما يحذر من الغفلة والإعراض عن الطاعات، ومن الآيات التي يذكرها دائماً -تنفيراً من الغفلة- قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ ﴾[1].

كان يحث على الإحسان إلى الناس والتودد لهم ويردد قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[2].

ومن صفاته أيضاً أنه كان يحسن الظن بالمسلمين، وكان كثير التأمل في الآيات القرآنية والآيات الكونية التي تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وتزيد في القلب الإيمان واليقين.

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٧٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (٨٣).

ومن صفاته البارزة أيضاً حسن حديثه وجمال أسلوبه وعذوبة ألفاظه واستحضاره العجيب للآيات والأحاديث والقصص والشواهد المؤثرة، وقد حدثني بعض إخوتي أنهم إذا جلسوا معه ~ لا ينصرفون من عنده إلا وقد ازداد الإيمان في قلوبهم، وذلك لبلاغة وعظه وصدق نصحه.



مرضــه ووفاتــه :

مـن سـنن الله ﷻ ابـتلاء عبـاده بـالخير والـشر وبالغنى والفقر وباليسر والعسر، قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1].

ودرجة الابتلاء تختلف وتتفاوت على قدر إيمان المُبتلى ومكانته عند ربه، ويوضح ذلك حديث المصطفى ﷺ حين سُئل: أي الناس أشد بلاءً؟ فقال: " الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقةٌ ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٥٥-١٥٧).

حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة"[1].

ولقد تعرّض ~ إلى الابتلاء والمرض في مراحل مختلفة من حياته فكان صابراً محتسباً، وقد عانى من بعض هذه الأمراض سنين طويلة حتى توفاه اللّه، ورغم شدة الابتلاء كان يكتم مصابه ولا يشتكي لأحد من الناس، وإنما كانت شكواه دائماً للّه سبحانه وتعالى.

وعندما كبر في السن زادت المعاناة، ثم استجدّت أمراض أخرى، ولم يعد جسمه قادراً على التحمّل، وكان ~ في آخر حياته يتعب كثيراً من المشي ويرهقه جداً، فكان أبناؤه يذهبون به إلى المسجد بالسيارة في كل الفروض واستمر الوضع كذلك طيلة الخمس سنوات الأخيرة من حياته.

---

(١) سنن الترمذي (٢٣٩٨)، باب ما جاء في الصبر على البلاء، صفحة [٥٤٠]، مكتبة المعارف، ط١.

وفي يوم الثلاثاء ١٤٢١/٦/٢٠هـ اشتد عليه المرض حتى ألزمه داره ومنعه من حضور صلاة المغرب مع الجماعة في المسجد، فصلاها في منزله جماعة مع بعض أبنائه، وكان أبناؤه يأتون إليه كل يوم بين المغرب والعشاء فيجلسون معه، وفي ذلك اليوم تحدث معهم عن ذكريات طفولته وشبابه، وعن أصدقائه القدامى، وتحدث عن والديه وذكرياته معهما، ثم أحس بتحسن قبيل صلاة العشاء، فأمر ابنه الدكتور أحمد أن يأخذه إلى المسجد بالسيارة، فدخل المسجد وتنفّل وجلس حيث يجلس عادةً، ثم قرأ شيئاً من القرآن، وبعد أن صلى العشاء قام فصلى ما شاء الله له أن يصلي، ثم ذهب ليخرج من الجامع، فمشى حتى إذا توسط الجامع أحسّ بتعب شديد فاستند إلى ابنه أحمد ثم جلس واستلقى على الأرض وفاضت روحه إلى بارئها.

كانت وفاته صدمةً رهيبةً، ومصيبة وفاجعة أذهلت جميع الأهل، حيث حدثت فجأة وبلا مقدمات، فصُعقنا لهول الحدث ومرارته، وأبكى المصاب الجميع.

ولسان الحال:

ولقد أرى أن البكاءَ سفاهةٌ
ولسوف يولعُ بالبكا من يُفجعُ

وقد تم تجهيزه في تلك الليلة ، فغُسّل وكُفّن في داره، ثم نُقل قبيل الفجر إلى الحرم المكي الشريف، وصُلي عليه بعد فجر الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الآخرة من عام ١٤٢١هـ، وقد أمّ الناس في الصلاة عليه فضيلة شيخنا الدكتور عمر بن محمد السبيّل ~ [1].

و كان ممن صلى عليه وشيعه إلى قبره وعزى أهله فيه جمعٌ من العلماء وطلبة العلم ممن أحبهم

---

(١) هو الشيخ الدكتور عمر بن محمد بن عبدالله السبيّل، ولد عام ١٣٧٧هـ، ودرس في مكة المكرمة وحفظ فيها القرآن وتخرج في معهد الأرقم بن أبي الأرقم، ثم حصل على البكالوريوس في الشريعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ثم حصل على الماجستير والدكتوراه في الفقه من جامعة أم القرى وتدرج في المناصب حتى أصبح عميد كلية الشريعة، بعد ذلك عين إمامًا وخطيبًا للحرم المكي الشريف عام ١٤١٣هـ، توفي رحمه الله في الأول من محرم عام ١٤٢٣هـ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وأحبوه، منهم بعض أصحاب الفضيلة من أعضاء هيئة كبار العلماء، وعدد كبير من العلماء والمشايخ والدعاة.



بعض ما قيل فيه :

" كـان ~ مخلـصاً صـادقاً في تدينـه، وكـان محباً للخير محسناً للنـاس، كـريم الأخـلاق والـنفس، فيه الـكرم الحقيقي، وكان ذا عزيمة لا تفتر " [1].

فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيّل

إمام وخطيب المسجد الحرام

" لقـد رأيـت وتعرفـت علـى كـثير مـن النـاس، ولكـن مثـل الـشيخ عبـدالله الفـريح لم أر في حيـاتي، فما رأيت أحداً مثله في خُلقه وفضله وثباته على الحق والدين "[2]

الشيخ سعيد بن مصطفى الطنطاوي

من علماء الشام وشقيق العلامة علي الطنطاوي

---

(١) المصدر: لقاء مسجّل مع فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيّل.

(٢) المصدر: حدثني بذلك شخصياً، وحدّث بعض اخوتي بنحوه.

"عرفتـه ~ يحـب الخـير لكـل النـاس مـن أي جـنس وأي لـون، فمـن كـان مـسلماً فهـو محبـوب عنـد عبدالله الفـريح، يرجو لـه الخـير ويقـدم لـه مـا اسـتطاع منه، فهو الفريح يفرح كل من جاء لـه بحـسن كلامـه واستقباله لضيوفه وحسن منطقه وطيب أخلاقه"[1]

الشيخ سعيد بن حمود المطرفي

جاره لأكثر من ربع قرن

---

(١) المصدر: خطاب كتبه الشيخ سعيد بن حمود المطرفي.

"والـشيخ عبـدالله بـن عبدالمحـسن الفـريح ~ معـروف بكرمـه ومحبتـه للخـير.. وقـد عرفـت عنـه حرصه على معرفة الحق والعمل به فقد كان كثير المناقـشة في المـسائل العلميـة والدينيـة وكـان يهـتم بقضايا المسلمين ويسأل عن أحوالهم ويتألم لما يحصل لهم من اضطهاد وكان كثير الدعاء لإخوانه المسلمين بالنـصر والـتمكين.. وكـان كـثير الـتلاوة للقـرآن الكريم في المسجد قبل الصلاة وبعد الصلاة فلا تـراه إلا تالياً لكتـاب الله مـع شـدة المـرض ولكنـه كـان صـابراً محتـسباً حريـصاً علـى وقتـه لا يـصرفه إلا في طاعة الله تعالى حتى لقي ربه وهو في المسجد"[1]

الشيخ الدكتور/ يوسف بن عبدالله الوابل

مدير التوجيه والإرشاد بالمسجد الحرام

---

(١) المصدر: خطاب كتبه الشيخ الدكتور يوسف بن عبدالله الوابل.

"والشيخ عبدالله مدرسة جامعة مانعة وموسوعة في نفس الوقت..، وكنت أخرج بفائدة كبيرة من كل لقاء معه يرحمه الله" [1].

أ.د. محمد بن علي العقلا

معالي مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

"جاورته أكثر من ثلاثين عاماً، فكان ~ يتفقد جيرانه ويحسن إليهم " [2].

الشريف صادق بن عبدالمعين آل يحيى

جاره لأكثر من ربع قرن

---

(١) المصدر: لقاء مسجّل مع الأستاذ الدكتور محمد بن علي العقلا.

(٢) المصدر: خطاب كتبه الشريف صادق بن عبدالمعين.

"وقد عرفت في الشيخ عبدالله خصلتين عظيمتين، الأولى: الحرص على الطاعة وارتياد أماكنها كالمساجد، والثانية: حبه للدعوة والدعاة فقد كان يدعمهم ويدعو لهم في صلاة الليل وفي سجوه، وقد ختم الله له بخاتمة طيبة إذ لقي ربه في بيت من بيوت الله " [1].

الشيخ الدكتور/ محمد بن سعيد القحطاني

المحامي والمستشار الشرعي بمكة المكرمة

---

(١) المصدر: خطاب كتبه الشيخ د. محمد بن سعيد القحطاني.

مراثي قيلت فيه

رثاه جاره الشيخ عبدالرحمن الشلوي بالقصيدة التالية :

مرحـــومْ يــا زَيـــن الطبـــايعْ والأخـــلاقْ

والـــدِّينْ كلـــه والوفـــا والرجولـــهْ

يــا اللــي علــى المسجد حــريصٍ وسـبّاقْ

ومطبـــقٍ ســـنّةْ محمـــد رســـوله

في حـــدو بيتـــه حَـــطّ مطـــبخ ومعـــلاق

ويفـــرح ليـــامنّ الرياجيـــل جـــو لـــه

مـــا يـــذبح إلا مـــن كـــبيرات الأشـــناق

مـــاهوب يرخـــي الـــراس لاجـــاه دولـــه

وأيـــضا ومـــع ذلـــك يحـــب التـــصدّاق

يمنـــاه لاعنقـــه مهيـــب مغلولـــه

وبـــــوارديٍ يـــــذبح الـــــصيد تفّـــــاق

مـــن راح مـــع دربـــه بتتعـــب رجولـــه[1]

واللـــــي حيـــــاةٍ عقبهـــا مـــوت وفـــراق

مـــا كـــن جـــا لرجـــلٍ صـــوله وجولـــه

وا جارنـــا اللـــي مـــشرقٍ نـــوره إشـــراق

عقبـــه يقـــول الحـــي شـــدوا نزولـــه

ياليـــت طـــول العمـــر يلقـــى بالأســـواق

وأشـــــريه لـــــه وإلا نـــــدوّر حلولـــــه

يامـــا تتـــصيته ليـــا خـــاطري ضـــاق

ويامـــا يجـــي يمـــي بطيـــب وســـهوله

بوايقـــــه تـــــومن ولا هـــــوب بـــــوّاق

هــــذي ميزاتـــــه وهــــذي فعولـــــه

- - - - - - - - - - - - - -

(١) تفّاق: بمعنى البواردي البارع في الصيد والمتمرس فيه.

تنــشر لــه البيــضاء علــى كــل الأوراق

لــو كــان ميــت يــذكر ابــن الحمولــه

يــالله عــسى لاألتفــت الــساق بالــساق

في جنـــة الفـــردوس عرضـــه وطولـــه



ورثاه أخي إبراهيم بعدد من القصائد:

أولها هذه القصيدة التي كان مطلعها جواباً لسؤال والدتي - حفظها الله- بعد أن عدنا من المقبرة، حين سألت بكل حزن: دفنتم عبدالله يا إبراهيم؟ فأجاب: نعم.

نعم دفنّاه يا أمّاهُ فاحتسبي
المـوتُ حقٌ ولم يُستثنَ منه أبي

مهدٌ ولحدٌ وأفراحٌ وتعزيةٌ
والناسُ ما بين مسرورٍ ومُنتحِبِ

والمـوتُ كالظلِ للإنسان يتبعه
من حين مولدِه لم يشك من تعبِ

لا يختفي أبداً حتى يواريه
يغيبُ ظل الفتى والمـوتُ لم يغبِ

أســـتغفر اللّه مـــا للمــوت ننكـــره

لــولا الحيــاةُ فهــل للمــوتِ مــن ســببِ

مــا المــرءُ إلا امتــزاجُ الــروحِ فيْ جــسدٍ

روحٌ مـــن اللّه والأجـــسادُ مـــن لـــزبِ

الــروحُ عــادت لــربٍ منــه قــد نُفخــت

ألــيس عــدلاً رجــوعُ التُــرب للتُــربِ

مــا مــات مــن عــاش فيْ دنيــاه محتــسباً

مــا المــوتُ إلا انــشغالُ القلــبِ باللعــبِ

يــا مــن فقــدناه شــيخاً صــالحاً ورعــاً

قــد شــابَ شَــعركُ والإيمــانُ لم يــشبِ

إن قــال قــولاً فــإن الــصدقَ مخرجــه

مـن بـين فكيـه لم يُفطـر علـى الكـذبِ

ومــا مــشى قــطُ يومــاً نحــو معــصيةٍ

وإن يكــن نحــو خــيرٍ ســار فيْ خبــبِ

بشر الفريج (ومضات وأبيات) ٠٠٣ ١٤٣٠/٠٢/٢٩هـ

سـبعونَ عامـاً وأسـتثني طفولتـه

(عـشراً) قـضاها بحـب الله في دأبِ

هـذا مُـصلّاهُ لـو يحكـي لنـا لبكـى

حزنـاً علـى فقـد ذاك العابـد النـصبِ

وذاك مـصحفهُ كـم مـرةٍ ختمـت

آياتـه بلـسانٍ سلـسلٍ عـذبِ

سمـحٌ جـوادٌ كـريمُ الـنفس محتـشمٌ

عـفُ اللـسانِ عـن الفحـشاءِ والـسببِ

لكـم تبـديتَ لـي إن صـابني غـضبٌ

ذكـرتُ حلمك فاسـتحييتُ مـن غـضبي

وكـم هممـتُ بـأمرٍ ثـم تـردعني

أصـداءُ نُـصحكَ إن لم يكفـني أدبـي

لـئن بكيتـك يـا مَـن كنـت قـدوتنا

رمـز النقـاءِ ورمـز الزهـدِ والحـدبِ

فقــد بكــاكَ معــي مــن لــستَ تعرفــه

مـــن المـــساكينِ والأيتـــامِ والغُـــرُبِ

مــا كنــتَ تــسألُ عمــن جــاء مُجتــدياً

فمـــا يهمُـــكَ إذ أعطيـــتَ مَـــنْ تهـــبِ

حييـــتَ إنـــك حـــيٌ في ضـــمائرنا

وإن ظنـــكَ في الأبنـــاء لم يخـــبِ

دعـــوتَ ربـــكَ توحيـــداً لـــصفّهمُ

أبـــشرْ بوعـــدٍ مـــن الـــرحمنِ أن يُجـــبِ

عنّـــا رحلـــتَ ببيـــتِ اللّهِ مُختتمـــاً

صـــلاةَ يومـــكَ بعـــد الـــوترِ والنـــصبِ

فـــصرتَ ضـــيفاً لـــربِ البيـــتِ مُنتخبـــاً

مـــا يفعـــلُ اللّهُ في ضـــيفٍ ومُنتخـــبِ

وبرغم جمال القصيدة إلا أنني كنت أنتظر من أبي خالد المزيد، فظهر ذلك له، فقال:

بـــشيرُ أقلـــلْ مـــن التلمـــيحِ والعتـــبِ
أبـوكَ لـيس كبـاقي النـاسِ يـا ابـن أبـي

ســـبعونَ عامـــاً لـــهُ في كـــل ثانيـــةٍ
أمـــرٌ سيـــشفي غليـــل الـــشعرِ والأدبِ

أعمالـــهُ كالجبـــالِ الـــشامخاتِ عُـــلاً
أنّـــى يحـــاطُ بهـــا مـــن ســـائرِ الجُنـــبِ

أو كـــالنجومِ تـــضيءُ الليـــلَ في ألـــقٍ
فمـــن يطيـــقُ لهـــا عـــداً بـــلا كـــذبِ

ناهيـكَ عـن وصـفها أو وصـف واحـدها
مـــا أبعـــد الطُلـــب أحيانـــاً لمطُلّـــبِ

فلـــو جمعـــتَ فحـــولَ الـــشعرِ كلـــهمُ
مـن مبـدأ الـشعرِ حتـى عـصره الـذهبي

لمـــا كفـــى العُمــرُ يــوفي حــق أرجلــه

وإن أجــادوا فحتـــى مفــصل الركـــبِ

إليـــك عــذري ومـــا ظنّـــي سترفــضه

أعلنـت عجـزي وكـل الـشعرِ يلحـق بـي

وقال أخي إبراهيم:

أســفي عليــكَ وكــل حــيٍ فــاني

يــا مــن رحلــت وزدت في أشــجاني

يــا فارســاً أمــضى الحيــاة مجاهــداً

ومعلمــــاً ومربيــــاً متفــــاني

بجهــــاده الإيمــــان نــــبراسٌ لــــه

مــا زاغ عنــه ولــو لبــضع ثــواني

قبــل البلــوغ مــضى يــشق طريقــه

لم ينتظــر ضــرباً مــن الإحــسانِ

منــذ الطفولــه وهــو مــشهودٌ لــه

مــن صــحبه قاصــيهمُ والــداني

إن قيــل (عبــد اللّه) لم تــسمع سـوى

-أكــرم بــه- لم يختلــف إثنــانِ

اللّه أكــــبر... كـــم توضـــأ قبلـــها

ومـــــضى يـــــسابق رقّـــــة الاذانِ

فـــإذا انتهـــى منهـــا المـــؤذن لم يـــزل

متـــــسنناً أو قـــــارئ القـــــرآنِ

في مـــــــــسجدٍ للّه لا في منـــــــزلٍ

مـــا كـــان منـــشغلاً ولا متـــواني

حتـــى إذا أنهـــى الـــصلاة جماعـــةً

رفـــع اليـــدين بذلـــةٍ وهـــوانِ

للّه، لم يبـــدِ الهـــوان لغـــيره

أكـــرم بـــذل العبـــد للـــرحمن

شـــيخٌ ولكـــن في عزيمـــة ضـــيغمٍ

مـــن لـــي بمثلـــك يـــا عظـــيم الـــشانِ

عانيـــت مـــا عانيـــت في دنيـــاك لم

تفـــرح بهـــا أو ضـــقت بـــالأحزانِ

حتـــى أتـــاك المـــوت لم تأبـــه لـــه

بـــل واقفـــاً لاقيـــت باطمئنـــانِ

لتمـــوت منتـــصباً بأقـــدس بقعـــةٍ

شـــيخٌ أرانـــا ميتـــة الفرســـانِ

يـــابن الثمـــانين الـــتي أزرت بـــه

أخجلـــت كـــل شـــجاعة الـــشجعانِ

عِـــبرٌ حياتـــك كيـــف نوجِزهـــا وقـــد

لقّنتنـــا بـــالموتِ درســـاً ثـــاني

وقال أيضاً:

قـــبراً أرى أم ذاك قـــصرٌ عـــالي
أم صـــورةٌ منـــسوجةٌ بخيـــالي

بـــل ذاك مثـــوىً للحبيـــب وإنمـــا
صـــور الخيـــال خلاصـــة الآمـــالِ

آمالنـــا بـــالمؤمنين إذا انقـــضت
أعمـــارهم ومـــضوا إلى المتعـــالي

صـــارت لهـــم تلـــك القبـــور كجنـــةٍ
ســـبحان مـــن جعـــل القبـــور عـــوالي

أواه يـــا أبتـــاه رغـــم يقيننـــا
لمّـــا نـــزل في أغلـــب الأحـــوالِ

نبـــدي التـــسلي والعيـــون تخوننـــا
مـــا أصـــعب الـــسلوان للمتـــسالي

أنّـــى التفـــتُ رأيتـــه متبـــسماً

سـَــيّان في الإدبـــارِ والإقبـــالِ

وإذا نظـــرت إلى الـــيمين وجدتـــه

وإلى الـــشمال رأيتـــه بـــشمالي

عجبـــاً لهـــذا الحـــزن كـــم أزرى بنـــا

أتـــراه لم يعـــرف ســـوى أمثـــالي!

و قال أيضاً :

(فزّت سحر)

عــامين مــرّن وأنــت يــابوي ويــن أنــت

طالــت علينــا غيبتــك حيــل وأبطيــت[1]

كــم مّــرةٍ جينــاك ﻓﻲ ســالف الوقــت

ﻓﻲ مــسجدك نلقــاك أو داخــل البيــت

نلقـــاك حتـــى لـــو لنـــا مـــا تبيّنـــت

مـــا قـــط عنـــّا لـــو دقيقـــة تغيّبـــت[2]

واليـــوم أزرت حـــيلتي مـــا تمكّنـــت

والعـين يجـرح دمعهـا كـل مـا اشـويت[3]

- - - - - - - - - - - - - -

(١) أبطيت: تأخرت.

(٢) تغبّيت: اختبأت.

(٣) أشويت: تحسنت.

مــــاكنني مـــن قبـــل موتتـــك حزّنـــت

وإلا بكيــت إنــسان أو مــات لـــي ميَــتْ

وإن شـفت(عبـد اللّه) حفيـدك تـذكرت

(جَـــدّه) وطلّـــت بـــسمتي ثـــم ونّيـــت

مِـن حـر مـا بـي صـحت يـا بـوي وأمّنـت

يـــا ليـــتني قبلـــك تكفّنـــت يـــا ليـــت



وقال بعد ثلاث سنوات :

مــــرّت ثـــلاث ســــنين والحـــال لا زال

الحـــزن مــل القلــب والقلــب مــا مــل

ينقــال حـــزن النـــاس يـــنقص إلى طـــال

لا والله اللــــي زاد حزنــــي ومــــا قـــل

والقلـــب بالمرصـــاد في كـــل الأحـــوال

كـــل مـــا هقيـــت إنـــي نـــسيتك تملمـــل

قـــبرك بـــصدري ويـــن مـــا رحـــت رحّـــال

وقلـــبي بقـــبرٍ ضـــم جثتـــك (بالعـــدل)[1]

يـــا مــــن لقلـــبٍ مــــن فقـــدناك رقّـــال

يرجـــف رجيـــف الأرض يـــومن تزلـــزل

---

(١) العدل: مقبرة العدل التي دُفن فيها الوالد ~ .

ويــــن ابتـــسامتك الـــتي تـــشرح البـــال

ويـــن الحنـــان اللـــي شـــقانا تحمـــل

ويـن الحبيـب اللـي جمـع حولـه عيـال

كـــلٍ علـــى بـــرّه يـــبي يـــصير الأول

ويـن الـشديد اللـي صـمد رغـم الأهـوال

ويـــن الـــسماحة فـــوق وجـــهٍ تهلـــل

ويـــن الـــذي يقـــرن كلامـــه بالأفعـــال

ويـن الكـريم اللـي علـى البخـل يبخـل

ويـــن الـــذي مـــا يـــشغله قيـــل أوقـــال

وإن ضـاق صـدر الـشيخ سـبّح وهلّـل

ويـــن النـــصوح الرحـــوم الطيـــب الفـــال

والله لـــو بيـــدي فـــلا أتـــركّ ترحـــل

يــابوي مانــا صــار مــن بعــدك أوحــال

لا ينـــشرب منّــــه ولا الريـــق يبتـــل[1]

وقال :

الــشيب عقبــك عجعــج بــراس مغليــك

والــدمع يطفــر غــصب عــن عــين عــيني

مـــن حـــر ونّـــاتي ليـــا حـــلّ طاريـــك

ويـن أنت؟عـارف بـس مـا أعـرف ويـني[2]

يـــا بـــو محمـــد يـــا شـــقا شـــقوتي فيـــك

دامـــك وصـــلت إمنـــاي لـــو تحتريـــني

---

(١) مانا: ماؤنا، أوحال: جمع وحل.

(٢) المراد : أعلم أين أنت، و لكني لا أعلم أين أنا..!!

ورثاه أخي الدكتور صالح بالقصيدتين التاليتين:

الحــــب يــــذهب بــــالعقول ويغتـــــدي

والقلـــب يـــشغل بالحبيـــب الأبعـــدِ

ويكابـــــد الألم المحـــــب صـــــبابةً

لفـــــراق محبــــوب إذا لم يـــــصمدِ

ويعـــــــيش في ألم يزيـــــــد أواره

ذكـــر الحبيـــب وصـــورة لم تبعـــدِ

وتزيـــده الـــذكرى علـــى طـــول المـــدى

ألمـــــاً يطاولـــــه بليـــــل مـــــسهدِ

وفـــراق مـــن تهـــوى شـــديد مـــؤلم

ويزيـــــده ألمـــــاً بعيـــــد الموعـــــدِ

ويمـــوج مـــن ضـــجر فـــؤادك والحـــشا

إن غـــاب مـــن تهـــواه غيـــب مؤبـــدِ

هـــذي المـــصيبة والفـــراق منـــازل

يـــصلى المحـــب بجمرهـــا المتوقـــدِ

يـا مــن ملكــت علــيَّ كــل جــوانحي

ومـــضيت في درب قـــديم مبعـــدِ

نـــاءت منـــازلكم وغبـــتم بعـــدما

نـــزل القـــضاء وحـــق حكـــم الأوحـــدِ

ورحلـــت في ليـــل تواصـــل همـــه

ومـــضيت تتركنـــا لهـــم أســـودِ

كنـــت الـــضياء ونـــور وجهـــك مـــشرق

ذهـــب الـــضياء وطـــل ليـــل ســـرمدي

وتركتنـــا في ظلمـــة لا نهتـــدي

والليـــل أحلـــك مـــن ســـواد الحرمـــدِ

وتـــركتني قـــد ضـــرني ألم ســـرى

في خـــافقي ومواجـــع لم تخمـــد

وتركـــت أزهـــاراً تـــضوع طيبهـــا

كنـــت المـــلاذ لهـــا وأفـــضل والِـــدِ

وتركـــت خلّانـــاً يطيـــب لهـــا اللقـــا

وصـــعدت تعلـــو في رفيـــع المقعـــدِ

عامـــان مـــرت مـــذ رحلـــت وإننـــا

نبكيـــك حزنـــاً دائمـــاً لم نـــسعد

ولقـــد بكتـــك مـــن الفـــراق أحبـــة

كنـــت الأنـــيس لهـــا وأفـــضل مرشِـــدِ

وبكتـــك أختـــك والبنـــات وأمهـــم

وبكتـــك مـــن ألم قلـــوب ترتـــدي

حلـــل العـــزاء علـــى الـــدوام لأنهـــا

فقـــدتك حـــراً واصـــلاً لا تعتـــدي

وبكـــاك أقـــوام أغثـــت دروبهـــم

بكـــريم بـــذلك في عطـــاء مُرْفَـــدِ

لم تحــرم المــسكين والطفــل الــذي

مــد الــيمين فكنــت أجــود مقــصدِ

حتـــى الرضـــيع يلـــف في أثوابـــه

نـــال العنايـــة مـــن ودود مُـــسعِدِ

وبكـــاك أغـــراب ملكـــت قلـــوبهم

بجميـــل بـــرٍ للغريـــب المُبعَـــدِ

مـــا كـــان يهنؤنـــك الطعـــام بدونـــهم

زاد الـــضيوف وزادكـــم لم ينفـــدِ

وبكـــاك نخـــلٌ نـــال أوفـــر حظـــه

برعايـــــة وعنايـــــة وتفقـــــدِ

(أُم الحمـــام) [1] بكتـــك حتـــى ملـــها

دمـــع وأوردهـــا ختـــام المـــوردِ

- - - - - - - - - - - - - -

(١) أم الحمام: من أنواع النخيل المعروفة، وكانت لدى الوالد في فناء داره.

أمـــا الثمـــار فطالمـــا فرحـــت بهـــا

أهـــل الجـــوار وضـــيفك المـــترددِ

وبكتـــك مـــن فقـــد مجالـــسك الـــتي

كنـــت الأنـــيس بهـــا رفيـــع الأعمـــدِ

أمـــا تجاربـــك الـــتي قـــد أُفعمـــت

بغزيـــر علـــم مـــع جميـــل المـــشهدِ

تـــروي لزائـــرك الـــذي لا يرتـــوي

شـــيئاً مـــن الماضـــي العريـــق الأمجـــدِ

كانـــت دروســـاً في الحيـــاة لمـــن وعـــى

تلـــك التجـــارب مـــن عظـــيم المعهـــدِ

إن الحيـــــاة لـــــدار علـــــم للـــــذي

فهـــــم الـــــدروس بعقلـــــه المتوقـــــدِ

يـــا أيهـــا الـــشيخ الـــذي بلـــغ العـــلا

بـــــسخائه وذكائـــــه والأجـــــردِ

أمـــضيت عمـــرك في العبـــادة والتقـــى

ترجـــو الإلـــه وحـــر نـــار تفتـــدي

كنـــت المـــسابق للمعـــالي والعـــلا

حتـــى علـــوت علـــو أعلـــى فرقـــدِ

ولقـــد جمعـــت المجـــد مـــن أطرافـــه

أحـــسنت قـــصدك جاهـــداً لم تقعـــد

والله قـــد أحـــذاك كـــل جميلـــة

طيـــب الأرومـــة مـــع كـــريم المحتـــدِ

وخلائـــق ملـــك القلـــوب جميلـــها

فثنـــاؤهم عـــن ذكـــركم لم يبعـــد

تلـــك الخلائـــق جملـــة لا ينتهـــي

منهـــا الجمـــال وروعـــة كالعـــسجدِ

يـــا مـــن عرفـــت الـــصدق في أثوابـــه

ولمـــست طهـــراً زاكيـــاً كالمـــسجدِ

ورأيتُ (أيوباً) تقمّص بُرده

في صبره العالي الجميل المفردِ

أتراك قد عفت الحياة مريرة

عمّ البلاء وساء فعل المنجدِ

وتواصلت أخبار قهر عاشها

اخوانُ دينٍ كلهم لم يُنجدِ

وتزايد الذل الرهيب وقلبكم

عن حمل هم الدين لم يتحيدِ

وتكشفت أثواب جهد بعدما

ثقل الحراك فساقكم كالجلمدِ

حتى قضت تلك الهموم عليكمُ

والهم أوردكم طويل المرقدِ

حكم الإله يفوق كل طبابة

والحكم للحي القديم الموجدِ

وتَـــحقق البعـــد الـــذي لم يـــصطلي

بجحيمـــــه إلا المحـــــب المفتـــــدي

ولقـــد فقـــدتك فالحيـــاة كئيبـــة

والعـــين مـــن دمـــع كعـــين الأرمـــدِ

أبتـــاه بُعـــدك زاد مـــن أشـــواقنا

فقلوبنـــا مـــن حرهـــا كالموقـــدِ

ذاب التجلـــد والجليـــد يذيبـــه

نـــار تـــضرم في فـــؤادٍ مجهـــدِ

يـــا قلـــب صـــبراً فالحيـــاة مواجـــع

ويـــذيبها قهـــراً عظـــيم تجلـــدِ

يـــارب أحللـــه الرضـــا ومنـــازلاً

أعـــددتها للزاهـــد المتعبـــدِ

ألبـــسه مـــن حلـــل تفُـــوحُ بطيبهـــا

مـــن ســـندسٍ واســـتبرقٍ وزبرجـــدِ

ولكل من طلب الوصال لفاضلٍ

يرجو النعيم له بعيش أرغدِ

إن الدعاء هدية يهنا بها

من كان في جدثٍ قديمٍ موسَدِ

فارفع رعاك اللّه صادق دعوةٍ

في كل فرضٍ من فؤاد مهتَدِي

فاللّه أعطى من دعا مثل الذي

يدعو به في غيبةٍ أو مَشْهدِ

ثم الصلاة على النبي محمد

وأتم تسليم لأكرم سيدِ

والختم حمدٌ دائمٌ لا ينتهي

كل الرضى فيه وصدق المنشدِ

وقال أيضاً:

أيـــا جــــدثاً أي العبــــاد تــــواري

أتُـــراك تـــدري عـــن ثنـــاءٍ ســـاري

أتُـــراك تعلـــم عـــن روائـــع فعلـــه

عـــن صـــدقه عـــن بـــرّه المـــدرار

عـــن لطفـــه عـــن عطفـــه عـــن رحمـــةٍ

بالطفـــل بالمـــسكين بالمنهـــار

عـــن وده عـــن حبـــه عـــن رأفـــةٍ

بالأهـــل بـــالإخوان بالأصـــهار

يـــا أيهـــا القـــبر الـــذي أودعتـــه

روحـــي، و وجهـــاً مـــشرق الأنـــوارِ

إنـــي لأدرك فـــرْحكم وســـروركم

بالـــصالحين ونخبـــة الأطهـــار

لمّـــا اقتربنـــا منـــك نحمـــل خلّنـــا

أظهـــرت فرْحـــك والـــشفاه تـــداري

وفتحـــت صـــدرك بالمحبـــة كلـــها

وتقـــول: هـــذا للحبيـــب يـــواري

إنـــي لأرجـــو أن يـــتم ســـروركم

فنـــزيلكم أضـــناه حـــب البـــاري

أمـــضى الحيـــاة مجاهـــداً يرنـــو لمـــا

وعـــد الإلـــه بـــصادق الأخبـــار

لم يغـــره هـــذا المحـــل بزخـــرفٍ

أغـــرى ســـواه فكـــان عبدالـــدار

أتـــت الحيـــاة إليـــه وهـــي بديعـــةُ

ترجـــو الوصـــال لعابـــدٍ صـــبّار

أمـــا الجمـــال فـــلا تـــسل فهـــو الـــذي

ملـــك القلـــوب بـــسطوه القهـــار

جـــاءت إليـــه بكـــل غـــنجٍ مغـــرقٍ

بـــدلال بكـــرٍ كامـــلٍ غـــدّار

كانــت كأجمــل مــا تكــون حليلــةُ

القـــدُّ ســـحرٌ والعيـــون تبـــاري

ألقـــت علـــى جـــسدٍ ليكمـــل دلّهـــا

ثوبـــاً رقيقـــاً ســـتره كالعـــاري

جـــاءت وأطيـــابُ تـــزف جمالهـــا

لجميـــل وجـــه مطلـــبُ الأبكـــار

نظـــر الأبـــيُ إليـــه مـــن عليائـــه

نظـــر البـــصيرة لا رؤى الأبـــصار

لم يغـــره شـــكلُ ولـــيس يذلـــه

حـــب الغـــواني في جميـــل إزار

وأشـــاح وجهـــاً مـــشرقاً ضـــاءتْ بـــه

كـــل الـــدنا كأوائـــل الإســـفار

وأنهـــارت الـــدنيا لإعـــراض الـــذي

خــــضعت لــــه بــــالفلس والــــدينار

وتقـــول في حُـــبٍ تـــداري مكرهـــا

هــــذا أنـــا بــــالنثر والأشــــعار

هيّـــا ارتمـــي بـــين الـــضلوع فـــإن بـــي

شـــوقاً إليـــك كجـــارف الأنهـــار

وتبـــسم الـــشيخ الوقـــور ولم يـــزد

عـــن قولـــةٍ تنهـــي الغـــرام الـــضاري

يـــا هـــذه الـــدنيا الكئيبـــةُ فـــاغرُبي

فالقلـــب مـــاضٍ في دُنـــا الأســـفار

غُـــرّي ســـواي فلـــيس يرضـــيني ســـوى

أعلـــى الجنـــان ومنـــزل الأبـــرار

أمـــا هـــواك فيـــشغل القلـــب الـــذي

يُبلـــى بـــه فـــالفكر كالمـــضمار

هـــذا الـــذي أمـــضى الحيـــاة عبـــادة

لإلـــــه صــــــدقٍ قــــــادرٍ جبـــــــار

كـم ليلـة قـد قـام في كنـف الهـدى

بــــصلاة ليـــلٍ في دجـــى الأســــحار

تلــك الـــصلاة فيــا لروعـــة سمتهـــا

يتلــــو الكتـــاب بخفيـــة الأســـرار

مــا زلــت أذكــر ذلــك الــصوت الــذي

فيـــه الخـــشوع وفيـــه كـــل وقـــار

وأرى بجـــــنح الليـــــل ظـــــلاً قائمـــــاً

مــــد اليــــدين لواحــــدٍ غفـــــار

يـــدعو ويـــسأل ربـــه مـــن فـــضله

صــــوتٌ تهـــدّج والعيـــون جـــوارِ

أمّـــا النهـــار فقـــد تعلّـــق قلبـــه

بمـــــساجدٍ كتعلّــــق الأنــــصار

فيحبهـــا حُـــبَّ الـــصحابةِ للـــنبي

يـــسلو بهـــا عـــن دهرنـــا الغـــرارِ

فـــإذا رأيـــت مجاهـــداً قـــد ضُـــرّجت

منـــه الجنـــوب مقطّـــع الأوتـــار

قـــد جـــاد بـــالنفس الكريمـــة راجيـــاً

عـــالي الجنـــان و روضـــة الأحـــرار

فـــأعلم بـــأن خليلنـــا قـــد فاقـــه

ومـــضى يقـــاوم قائـــد الأشـــرار

قـــد صَـــدَّ للـــنفس اللجـــوج فردّهـــا

عـــن غيهـــا لعبـــادة الـــستّار

حتـــى أجـــاب الله في جنباتهـــا

بـــين الـــصفوف كفـــارسٍ مغـــوار

يـــا رب فاقبلـــه وأعـــلِ مكانـــه

واجعـــل منازلـــه مـــع المختـــار

ثـــم الـــصلاة علـــى الـــنبي محمـــدٍ

مـــا ضـــاء ليـــلٌ في ذرى الأقمـــار

ورثاه كاتب السطور بالقصيدة التالية :

لـك الحمـد يـا ربـي علـى كـل مـا بـدا
وإن حــلّ فينـــا المـــوت راح أو اغتـــدى

لـــك الحمــد حمــداً واســعاً لا يحيطــه
محــيطٌ، ويبقــى دائــمَ الــدهر ســرمدا

لـــك الحمـــد مـــدراراً إليـــك نـــسوقه
وأيّـــاً نكـــن في حالـــةٍ أنـــت تحمـــدا

فأنـــت إلهـــي خـــالقي ومـــصوري
وأنـــت الـــذي أرجـــو هـــداه لأرشـــدا

وأنـــت الـــذي تجـــزي عبـــادك إنهـــم
بفـضلك يــا رحمــان قــد جــاوزا الــردى

فــأرحم إلهــي عبــدك المــؤمن الــذي
بــأخرى جُمــادى يــوم عــشرين قــد عــدا

إليك يحث الخطو نحو صلاته

فصلى عشاءً كان فيها مرددا

أنا عبدك التوّاب هلّا غفرت لي

فأنت إلهي صاحب الفضل والندى

برغم الضنى والسقم حين دعوته

فما كان إلا طائعاً وموحدا

حتى إذا جاء القضاء لقيته

بخير لقاءٍ كان في الذهن واردا

وشئت إلهي أن يكون ختامه

بُعيد صلاة الوتر حين تشهدا

فويلاه من فرقى تكون لمثله

وويلاه من قلبٍ به كان أرغدا

وإن كانت الأشعار ليست ترده

فإن لنا فيها عن الحزن مُسندا

وإن قـــــضاء اللّه فينــــا لنافـــــذٌ

وإن حـــساب اللّه كـــان مؤكـــدا

ولـــيس علـــى قَـــدَر الإلـــه محجـــةٌ

ولكنهـــا الفرقـــى تلـــوّع أكبـــدا

فيـــا رب أســـكنه الجنـــان مثوبـــةً

ومـــن قبلـــها رحمـــاك يـــا رب موعـــدا

وأســـكنه فردوســـاً عظيمـــاً بناؤهـــا

يعـــيش بهـــا أبـــد الحيـــاة مخلّـــدا

ويلقـــى بهـــا الرســـل الكـــرام وصـــحبهم

وأيـــضاً بهـــا يلقـــى الـــنبي محمـــدا

ويـــنعم في جنـــات ربـــي فإنهـــا

محـــل نعـــيمٍ وافـــرٍ لـــيس ينفـــدا

لعـــل عزائـــي أن يكـــون لقـــاؤه

بجنـــات عـــدنٍ عنـــد ربـــي فأُســـعدا

وصـــــلِّ إلهـــي دائمـــاً ومؤبـــدا

علـــى سـيد الخلـق المظفـر أحمـدا

وقلت أيضاً :

أبتـــاهُ مـــاذا قـــد يخـــط بنـــاني

أم أيُ شـــيءٍ قـــد يقـــول لـــساني

أم أنهـــا الـــدنيا وهـــذا حالهـــا

يـــومٌ لنـــا ، ولهـــا بنـــا يومـــانِ

أمـــسى رحلـــيكمُ يـــؤرق خـــاطري

واســـتيقظت مـــن نومهـــا أحزانـــي

وتقطّعـــت سُـــبل الوصـــال ومثلـــها

أنيـــاط قلـــبي مُزّقـــت بـــسنانِ

فارقتنـــا والقلـــبُ يعـــشق ذكـــركم

والعـــين لم تقـــوى علـــى الفقـــدانِ

كـل الأخلّـة يـا أبـي ينـسون إلا أنـ

ـت تستعـصي علـى النـسيانِ

لا زلـت أذكـر يـا أبـي فـاك الـذي

لمّـا تـزل شـفتاه تبتـسمانِ

ولَكَـم تـذكرت الـذي قـد طالما

أحيـا حيـاة الـدين في وجـداني

ومـضى يـسطّر في القلـوب محبـةً

للعلـم والتقـوى وللإيمـانِ

ويقـول لـي إن الحيـاة قـصيرةٌ

ومـصيرها للقـبر والأكفـانِ

فاسـعى إلى مرضـات ربٍ قـد سما

فـوق الـسماءِ بثابـت الأركـانِ

فجـزاك ربـي كـل خـيرٍ يـا أبـي

وجـزاء ربـي صـادق الميـزانِ

يــا مـــن إلى جنّـــات عـــدنٍ قـــد ســـعى

بـــــذل النفـــيس وغــــاليَ الأثمــــانِ

إن الحيــــــاة وإن تفـــــرّق بيننــــــا

فلقاؤنــــــا في جنـــــة الـــــــرحمن

بإذن الله

ذريتـــه :

خلّـف الـشيخ عبـدالله ثلاثـة عـشر ابنـاً نـسأل الله أن ينفـع بهـم أن يجعلهـم ذخـراً لأهليهـم وأمّتهـم، وهـم:

• الدكتور/ محمد ، وهو أستاذ مساعد في كلية الآداب بجامعـة الملـك سـعود بالريـاض، حـصل علـى الـشهادة الجامعيـة في التـاريخ مـن نفـس الجامعـة، ثـم حصل على درجة الماجستير من جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكيـة في تخـصص التـاريخ، ثـم حصل على الدكتوراه من نفس الجامعة عام ١٤١٠هـ، وكـان البحـث بعنـوان (الخلفيـة التاريخيـة لحركـة الإمام محمد بن عبدالوهاب)، لـه عـدد مـن الإسـهامات العلميــة، وقــد شــارك في ترجمــة كتــاب "في شــبه الجزيرة العربية المجهولة"، لربورت تشيزمان- وكتاب

"نساء شهيرات من نجد"، وهو تربوي مؤرخ[1]، وعضو في اللجنة العلمية بدارة الملك عبدالعزيز، وله من الأبناء حسام.

• المقدم متقاعد إبراهيم، تخرج من الكلية العسكرية(كلية الملك عبدالعزيز الحربية حالياً) في عام ١٣٩٤هـ، ثم عمل ضابطاً في الحرس الملكي، التحق بالعمل في الملحقية العسكرية في السفارة السعودية بالعاصمة الأمريكية واشنطن، وحصل على عدد كبير من الدورات العسكرية في أمريكا وباكستان وغيرهما، طلب التقاعد المبكر فحصل عليه في عام ١٤١٠هـ، وهو أديبٌ وشاعرٌ بارع، له الكثير من القصائد التي تتناول شتى ألوان الشعر،

---

(١) انظر: من مشاهير الجزيرة العربية من عام ٧٠٠هـ إلى عام ١٤١٧هـ، عبدالكريم بن حمد الحقيل، ج١، ص١٦٤. وأنظر أيضاً: معجم مؤرخي الجزيرة العربية في العصر الحديث، عبدالكريم الحقيل، ج١، ص١٢٠.

وله من الأبناء خالد وأسامة وزيد وعبد العزيز وعبد المحسن وعبد الله ومحمد ومعاذ.

• الأستاذ / علي، وهو مدير مدارس الفضل بن العباس الأهلية لتحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة، حصل على الشهادة الجامعية في اللغة الإنجليزية من جامعة الملك عبدالعزيز -فرع مكة المكرمة- (جامعة أم القرى حالياً)، عمل في التدريس زمناً طويلاً، ثم تولى أعمالاً إدارية مختلفة فعمل وكيلاً لثانوية طلحة بن عبيدالله ثم مديرًا لمدارس الفضل بن العباس الأهلية، وله من الأبناء عبدالله ومحمد وسليمان وعبد العزيز ومعاذ والبراء وسعد وعمار وياسر وبدر.

• الأستاذ/ عبدالمحسن، يعمل في شركة رينيبون بجدة، حصل على الشهادة الجامعية من كلية الإقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

• الأستاذ/ عبدالرحمن، حصل على الشهادة الجامعية من قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وقد عمل في التدريس زمناً ثم تقاعد منه عام ١٤٢٨هـ، وله من الأبناء عبدالله ومحمد وعامر.

• الأستاذ/ عمر، وهو مرشد في التعليم العام بمكة المكرمة، حصل على الشهادة الجامعية من قسم الشريعة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وله من الأبناء صلاح وعبدالله وعبد الرحمن ومحمد.

• الأستاذ/ يوسف، نائب مدير وحدة الإشراف بالمؤسسة العامة للتدريب التقني بجدة، حصل على الشهادة الجامعية من كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وله من الأبناء عبدالمحسن.

• الدكتور/ صالح، وهو أستاذ مشارك في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ووكيل الكلية للتطوير الأكاديمي وخدمة المجتمع، حصل على الشهادة الجامعية من الكلية نفسها عام ١٤١٢هـ، ثم حصل على الماجستير من كلية الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-فرع المدينة المنورة-عام ١٤١٥هـ، ثم حصل على درجة الدكتوراه من قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام في جامعة الإمام بالرياض عام ١٤٢٣هـ، وله العديد من المؤلفات والأبحاث، كما شارك في عدد كبير من المؤتمرات والندوات المحلية والعالمية، وله من الأبناء عبدالله ومحمد.

• الأستاذ/ عقيل، حصل على الشهادة الجامعية من قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، عمل في التدريس ثم في المحاماة، وله من الابناء عبدالله وعبدالرحمن.

• الأستاذ/ خالد، يعمل في الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي بمكة المكرمة، وله من الأبناء عبدالله.

• الدكتور/ أحمد، وهو أستاذ مشارك في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، حصل على الشهادة الجامعية من كلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم حصل على الماجستير من الكلية نفسها عام ١٤٢٠هـ، ثم حصل على درجة الدكتوراه من شعبة التفسير وعلوم القرآن بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، وذلك في عام ١٤٢٦هـ، وهو إمام وخطيب جامع خالد بن الوليد ﵁ بمكة المكرمة، وله من الأبناء عبدالله وعبد المحسن.

• الشيخ/ بدر، وهو أستاذ في معهد الحرم المكي الشريف، حصل على الشهادة الجامعية من قسم الشريعة بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -فرع القصيم- (جامعة القصيم حالياً)، طلب العلم على عدد من المشايخ والعلماء، من أبرزهم فضيلة الشيخ محمد ابن عثيمين ~ ، وهو إمام وخطيب الجامع الكبير في الشرائع بمكة المكرمة، وله من الأبناء عبدالله ومحمد.

• كاتب السطور/ بشير، يعمل مشرفاً على النشاط الثقافي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، حصل على الشهادة الجامعية من قسم الشريعة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى عام ١٤٢٢هـ، ثم درس مرحلة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في قسم الدعوة بكلية الدعوة وأصول الدين عام ١٤٢٨هـ، ويعد في الوقت الحاضر لرسالة الماجستير وعنوانها (الرسائل الدعوية

للأئمـــة مـــن آل ســـعود في الدولـــة الـــسعودية الأولى والثانية- دراسة تحليلية)، وإضافة إلى الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم فللمؤلف كتاب آخر، وهو بعنوان (الشطر المجهول) في فرائد الأمثال في الشعر العربـي، وقـد صـدر عـام ١٤٢٩هـ عـن دار طيبة الخضراء بمكة المكرمة.





الفصل الثاني

الفصل الثاني:
شعـــــره

قال رسول اللّه ﷺ: " إن من البيـان سـحرا وإن مـن الـشعر حكمـاً "[1]، والـشعر ديـوان العـرب حفـظ لهـم تاريخهم وسيرهم، وهـو سـجية طبعـوا عليهـا ، فكـأنمـا الشعر هو العرب، لا ينفكون عنه ولا ينفك عنهم.

في الخامسة عشر من عمـري سـألت والـدي ~ : كيف تنظم القصيدة؟ فأنا أريد أن أكتب الشعر.

جـاء الجـواب علـى غـير مـا أردت إذ قـال: "يـا بـني أشغل نفسك بطاعة اللّه، ودع عنك الشعر".

(١) سنن أبي داود (٥٠٠٩)، باب ما جاء في الشعر، صفحة [٧٥٠]، مكتبة المعارف، ط١.

ومن فضل اللّه عليّ أن التزمت أمره رغم محبتي للشعر فلم أنظم قصيدة في حياته، فلما مات كتبت في رثاءه قصيدتين.

ومن المهمّ هنا الإشارة إلى أنه ~ كان يقول الشعر بأسلوب سهل يسجل فيما يقول ذكرياته ومواقفه وتوجيهاته، ولم يكتب الشعر بغرض التفنن في نظم القصائد أو الإكثار منها والانشغال بها.



في مطلع بعض القصائد سأقدّم بكلام نثري استقيته في الغالب من الوالد ~ شفهياً، أو من خلال مذكراته الشخصية التي يذكر فيها أحياناً مناسبات بعض القصائد، وذلك لتوضيح فكرة القصيدة ومناسبتها.

قـــال ~ : " ذكـــر وشـــكر للّه علـــى نعمـــه وترغيب بما عند اللّه ودعوة لمن استجاب ".

الحمـــد لَلـــه في إحـــسانه تربّيـــت
رَبَيـــت[1] فـــى دارٍ بهاالـــجود رابـــي
وناديـــت ربـــي بالـــسحر داخـــل البيـــت
أجبـــت ربـــي بالـــدعاء ثـــم جـــابي
وناديـــت في وقـــت الأذان وتناديـــت
ناديـــت مـــن سمـــع النـــداء واســـتجابِ
بديـــت بالمـــاء للعبـــادة توضّـــيت
وصـــلّيت للّه ذخـــر يـــوم الحـــسابِ
أعـــزّ نـــومٍ بالـــسّحَر فيـــه ضـــحّيت
حيـــث الـــدعاءوقت الـــسّحَر مـــستجابِ

- - - - - - - - - - - - - -

(١) ربيت : نشأت وتربيت .

يــا رب ﷺ حبلــك تمــسكت وأديــت

فــرض الــصلاة و كــل مــا بالكتــابِ

أســكنتني مكــة قريــبٍ مــن البيــت

وفتحــت لــي بالــخير مــن كــل بــابِ

يـــا رب ﷺ عفـــوك وجـــودك تـــذرّيت

أرجــي الــسلامة مــن شــديد العــذابِ

و أرجـــي نعـــيمٍ ﷺ طـــلبها تفانيـــت

مدىالـــحياة منـــوخٍ لـــها ركـــابي

يـــا رب ﷺ بابـــك أنخـــت وتحرّيـــت

فوزٍوغفـــــرانٍ يحـــــوزه جنــــابي

تنــازعتني شــتى الأفكــار وأبــديت

حـــزمٍ وعـــزمٍ مهتـــديٍ للـــصوابِ

نزعــت عــن كــل الرذايــل تعلّيــت

وشــربت مــن مــيّ الــسماء بالــسحابِ

وابتعــــت للّه كــــل مــــالي وأمــــضيت

وأنفقــــت مــــن مالــــي ريــــال وربــــابي

وجاهــــدت في ربــــي صــــديقي وعاديــــت

عــــاديت مــــن عــــاداه مــــن أول شــــبابي

وجاهــــدت نفــــسي و الــــبلاء فيــــه أبليــــت

حــــسن البــــلاء مــــا أدركنّــــه أعــــصابي

أرجــــي جنــــانٍ في طلبهــــا تــــعنّيت

فــــوق الــــسهول ونايفــــات الهــــضابِ

مــــع كلمــــةٍ وحــــده لهــــا قلــــبي أجريــــت

هــــي كلمــــة التــــوحيد فيــــها جــــوابي

يــــرجح بهــــا الميــــزان فيهــــا تمــــنّيت

رضــــى ربــــي المــــولى عظيــــم الثــــوابِ

يــــا رب في حُبــــك ســــليت وتــــسليت

وأحســــست أنــــي بالــــدعا مــــستجابِ

أنجيـــتني عنـــد الـــدَرَك يـــوم زلـــّيت

ويـــسّرت لـــي كـــل الأمـــور الـــصعابِ

الحمـدلك والـشكرماأصبحت وأمـسيت

وإعـــــداد ذرّات الهـــــوا والـــــترابِ

وصـــلاة ربـــي دايـــم الـــدهر صـــلّيت

علـــى الـــنبي الهـــاشمي و الـــصحابي

قال ~ :"المناسبة/ أن أنجاني الله من مخاطر تعرضت لها حتى فقدت الأمل بالحياة"

بـــديت بـــسم الله ولانيـــب مرتـــاب

الحمـــــد للّه ربنـــــا مرتجانـــــا

الحمـــــد للّه ربنـــا رب الأربـــاب

والـشكر لـه عنـد الخطـر مـا نـسانا

الحمـد لـه يـوم اغلقـت كـل الأبـواب

يــوم انقطــع مــن بــاب غــيره رجانــا

الحمـد لـك يـا مـسببٍ كـل الأسـباب

أنـــت الكـــريم وفـــضل جـــودك وتانـــا

يـــالله يـــا للـــي مـــن تـــولاّك مـــا خـــاب

يـــا مجيـــب عبـــدٍ لـــك سـعى مـــا تـــوانا

في كــــل عمــــره مــــؤمن فيــــك أوّاب

يرجــي ثوابــك يــوم تحــصى الحــسانا

إخــتم حياتىبأطيــب الطيــب الأطيــاب

وأكتــب لــي الفــردوس الأعلــى مكانــا

وصــلاة ربــي علــى محمــد والأصــحاب

صـــــلاةٍ وتـــــسليمٍ وحُبـــــه هوانـــــا

قـال ~ : وبتأمـل مـا عليـه النـاس مـن الانـصياع إلى الـدنيا وغفلـتهم عـن اللّه، ومـا هـم عليـه مـن الـذل والمهانة..، فكّـرت يـُ ذلـك وتعلمـت منـه، ولا شـك بـأن ذلـك بـسبب إعراضـهم عـن اللّه وإقبـالهم علـى الـدنيا، فكان ذلك جزاءً وفاقا، فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

يــوم إن طلبنــا عزنــا بــه لقينــاه
ديــن الإســلام وشــرعة اللّه هوانــا
ديــن الــسعادة والعدالــة عرفنــاه
اللّه يديمــه منــسجم مــع هوانــا
ســنة محمــد عــرّف الحــق منحــاه
منحـا الكتـاب اللـي نـزل مـن سمانـا
يــوم انكــشف للنــاس خــيره وفحــواه
تــسابقوه رجالنــا مــع نــسانا

دينٍ عظيمٍ قيّد الخير بخطاه

من لاذ به سار المسار بأمانا

سعادته عمّت بدينه ودنياه

به فوزنا والحمد للي هدانا

قال ~ :

يـــا مـــن لقلـــبٍ مـــن قـــديمٍ يـــصالي

حَـــرّ الـــسموم ولاهـــب القلـــب مـــا راح

ويـــا مـــن لقلـــبٍ مـــن ســـنينٍ طـــوالِ

مـــا راحـــني يـــومٍ ولاهـــوب مرتـــاح

يريـــد تحقيـــق العـــسير المحـــالِ

ويامـــا ســـعينا لـــه غـــداةٍ ومـــرواح

ويامـــا بـــذلت الجهـــد وأتعبـــت حـــالي

وفتحـــت أنـــا بـــاب الكرامـــة بمفتـــاح

ورقيـــت ســـلّمها ولا شـــيء حـــالِ

دون الـــذي أهـــواه مـــع كـــسب الأربـــاح

كـــان الـــثمن جهـــدٍ كـــبيرٍ وغـــالي

ومـــن رام خـــير الـــبر يـــسعى للإصـــلاح

والحمــــد للّه مـــــن قـــــديمٍ وتــــالي

مرامنــــا بــــرٍ لــــه القلــــب يرتــــاح

ويامــا طــردت الــصيد وأشــرفت عــالي

وطالعــت غــزلانٍ مــن الــصبح ســرّاح

وعــديت مــن خلــف الطويــل المــوالي

متخــوّفٍ حمــل الهبايــب لــه ريــاح(١)

يـــوم اقتربـــت وزان مرمـــى الغـــزالِ

رميــت (بــسم اللّه) علــى الــريم مرتــاح

وأكملـــت بالمديـــة أحـــل الحـــلالِ

وحملـــت ضـــبيي يـــم ربعـــي وســـوّاح

أكرمـــت ضـــيفي وابتهلـــت ابتهـــالِ

إلى الـــولي ربـــي علـــى كـــل مـــا راح

- - - - - - - - - - - - - -

(١) كان ~ يقوم بصيد الغزلان والوعول من الاتجاه المعاكس لاتجاه الرياح حتى لا يحمل الهواء رائحة الإنسان إلى الغزال فيفر.

حمــــدٍ وشـــــكرٍ للعظـــيم الجــــلالِ

المـــنعم العــــالم بـــسري والإفـــصاح

ثـــم اســـتدار الوقـــت والعمـــر طــــالِ

ورجعــــت زرّاع وراء الحــــرث فـــلاّح

وأعيـــاني الإنـــشاء وحفـــر الطـــوالِ

وهـــواجس تعـــصف بنـــا عـــصف الأريـــاح

هــــذه المتاعــــب مـــن قـــديمٍ بحـــالي

ألفتهـــا تبـــدو لنـــا مثـــل الأشـــباح

لـــو مـــا دعمـــني عامـــلٍ والعيـــالِ

جهـدي كـبير وجهـد غـيري بـه اشـحاح

والحمــــد لله عوّضــــن في حلالــــي

رغــم الــبلاء قــدّر لنــا حفــظ الأرواح

قلت: كان الشعر ولم يزل من وسائل حفظ الأنساب والأخبار ونشر الفضائل والحث عليها، وفي هذه القصيدة يتحدث ~ عن أسرته وآباءه.

فريح ابن سُلْمي من أصلٍ تميمي
عراقةٍ بالأصل والفرع والساس

معدن ذهب مغمور بين الحطيمِ
ما مثلهم معدن ولا مثلهم ماس

تسلسل الأجداد فذٍّ كريمِ
شهادةٍ جاءت على ألسن الناس

شمس الضحى ما من عسامٍ مغيمِ
شمسٍ سطع نوره على كل مشماس

هذي الحقيقة ما جحدها غريمِ
شتّان بين الرجل واليد والرأس

هـــم قـــوةٍ في كـــل أمـــر عظـــيمِ

هــم طاقــة يــشعر بهــا كــل حــسّاس

صـــــديقهم في عـــــز دايـــــم مـــــديمِ

وعـــدوهم يـــسقونه المُـــرّ بالكـــاس

صـــديقهم صـــديق صـــدقٍ حمـــيمِ

وعــدوهم يحمــل علــى الحــدّ والبــاس

هـــم بالـــشرف لكـــل طفـــلٍ يتـــيمِ

عطـف وحنـان ورحمـةٍ مـا لهـا قيـاس

للواجـــب الـــلازم شـــروه هـــضيمِ

هـــضوم للواجـــب للأدنـــين مـــدراس

أمثـــالهم بالنـــاس يومـــك عـــديمِ

أخلاقهـــم تربـــو علـــى كـــل مقيـــاس

مرحـــوم يالجـــد الكـــريم القـــديم

(هــداج تيمــا) مــا يعــادل بالأرســاس[1]

(محمـــد) المعـــروف لأهـــل القـــصيمِ

بــالواعي المـــدرك تـــدابير الأنجـــاس[2]

لـــه مطعـــم يـــصدر رخـــي البريمـــي

مـــن النـــدى والخـــير يلقـــاه محتـــاس

و(علـــي الفـــريح) اللـــي بـــرز مـــن قـــديمِ

رجـــلٍ كـــريمٍ دعّـــم المجـــد بالـــساس[3]

- - - - - - - - - - - - - -

(١) بئر هداج بتيماء بئر عظيمة تقع اليوم وسط تيماء القديمة، كانت ولا تزال رمزاً للكرم والجود.

(٢) هو الجد محمد بن فريح بن فواز، انظر الحاشية في صفحة ٦.

(٣) هو علي بن عبدالله بن محمد الفريح، من وجهاء الأسرة وكرمائها، كان شجاعاً مقداماً، فاقت شجاعته الوصف، قُتل غدراً وهو نائم، وذلك عندما كان مسافراً في طريقه إلى العراق على مقربة من الحدود، عام ١٣٧٠هـ تقريباً.

و(محمد المحسن) للضواين غريمٍ

عدو ماله لو تعرض للإفلاس[1]

كم من قطيعٍ حول داره مقيمٍ

محضّراتٍ للسكاكين والفاس

ياما ذبح من كل كبشٍ جسيم

أَبَتْ سكاكينه على ذبح الأتياس

متعودين رجالهم والحريمِ

ذبح الطلي لو نس للضيف نسناس

وقريبهم يعطي الورق بالرزيمِ

عند اللزوم يناول التبر بأكياس[2]

الكل منهم بالمراجل هميمِ

يفوق في بحر الشرف كل غطّاس

---

(١) هو العم الشيخ محمد بن عبدالمحسن بن محمد الفريح، انظر ص١١.

(٢) الورق: النقود، التبر: الذهب.

يـــا رب ضـــاعف أجـــرهم يـــا كـــريمِ

وأســـكنهم الفـــردوس تقـــديس الأقـــداس

كـــل البـــشر أصـــله تـــراب رمـــيمِ

الفـــرق بالأعمـــال مـــع طيـــب الأنفـــاس

أرى الـــــشدايد مخـــــبره للفهـــــيمِ

كالنـــار تعـــزل صـــايف التـــبر ونحـــاس

كـــان الـــشرف والجـــود منـــذ القـــديمِ

حلـــيفهم لاواجـــه النـــاس الإفـــلاس

والحمـــــد لـــــك يـــــا رب ربٍ رحـــــيمِ

للمـؤمن العامـل وهـب طيـب الإحـساس

قلت: يصور ~ جانباً من المعاناة التي عايشها أيام شبابه في هذه الأبيات التي يسندها على ابنه بدر.

يامــا مِــن اللّوعــات يــا (بــدر) جَنّــي

ومــن الــبلاء والعــسر قلــبي تلقــاه[1]

مــا مِــن قريــبٍ يعلــم الحــال عنّــي

يــوم أطــبقنّ أنيــاب بقعــا تــصدّاه

كــم مــرةٍ استــسلم الجنــب منّــي

في قفــرةٍ صــحراء عــوا ذيبــه عــواه

مجالــدٍ حَــرّ الــضما وجلــدنّي

حــرٍ شــديدٍ والخــلا كــان مــضماه

يــوم اغلــبنّ اظفــارهم وادركنّــي

في ســاعةٍ مــا لــي مــلاذٍ ســوى اللّه

- - - - - - - - - - - - - -

(١) جنّي، أي: جائتني.

كـــان المنايـــا بـــالأثر يطردنّـــي

وأنـــا أحمـــد المـــولى حمـــاني ونحّـــاه

قال ~ : "المناسبة/ ذكريات بعض ما واجهت من المتاعب عندما سافرت من الهلالية إلى الرياض للدراسة مع الإخوان وأنا في سن الثانية عشرة من عمري".

وأنـــا بـــسنِك يـــا (بـــشير) ادفعـــتني

دوافـــعٍ توصـــف بـــزينْ الـــصفاتِ[1]

هَمَـــيَم نفـــسي مِـــن صِـــباه أتعبـــتني

تطلـــب مكـــامن عزّهـــا ياشـــفاتي

مِـــن عنـــد حُـــبي والحبيـــب انـــزعتني

نفـــسٍ طمـــوحٍ تطلـــب الغاليـــاتِ

---

(١) يسند في هذه القصيدة على ابنه بشير -كاتب السطور- وعمره آنذاك عشر سنوات تقريباً.

مِـــن العويـــدة للريـــاض أرســـلتني

مطـــامعٍ فاقـــت جميـــع اشهْـــواتي[1]

مطـــامعٍ بـــالعلم يومـــه دعتـــني

وبـــذرت حَبّـــي حـــين وقـــت النبـــاتِ

رَحَلَـــت حملـــي حاملـــه فـــوق مـــتني

مواجـــهٍ مالـــه مـــن التكلفـــاتِ

والمـــوطن الأول ودارَ أودعـــتني

وأودعتهـــا والعمـــر عـــشر اســـنواتِ

دار العويـــده للـــسفر جـــهزتني

نحـــو الريـــاض معـــديٍ مـــن (مـــراتِ)[2]

- - - - - - - - - - - - - -

(١) العويدة: مزرعة في الهلالية، عاش فيها بعض طفولته قبل أن يسافر إلى الرياض لطلب العلم.

(٢) مرات: مدينة تقع في إقليم الوشم بمنطقة الرياض، وتبعد عن مدينة الرياض ١٧٠كم تقريبًا، كما تبعد عن شقراء قاعدة الوشم ٣٥كم تقريبًا.

حَيَـوَف (العيينـة) بالقـدم جـرّحتني

كـم شـج رجلـي حيـف هـاك الـصفاةِ[1]

وبَـدَار دخنـه الهـوام أقلقـتني

تبـادل الإخـوان حقـب وهمـاةِ[2]

ياما مـن اللوّعـات يـا (بـدر) جـتني

ملّـوعٍ منـذُ عرفـت الحيـاةِ

في كـل ميـدان أطـرده واطـردتني

متعـرض لأخطارهـا والممـاتِ

في كـل مـرّه حاولَـت واقنـصتني

أخطـا سـهَمْهَا حيـث صـاب الوشـاةِ

- - - - - - - - - - - - - -

(١) حيوف العيينة: الحيف: حد الحجر، وجمعه حيوف، والعيينة محافظة تقع على وادي حنيفة في إقليم العارض، وتبعد عن مدينة الرياض ٤٠ كلم تقريبًا، الصفاة: الصخرة الملساء.

(٢) دار دخنة: المقصود حي دخنة بالرياض حيث يجتمع العلماء وطلاب العلم، وقد سبق الحديث عنها في الصفحات ٤٣-٤٤-٤٥.

لـــو لـــذت عنهـــا بالمكيـــدة لقـــتني

غـــير الـــولي مـــا مـــن مـــلاذ يـــواتي

عرفتهـــا مـــن كثـــر مـــا لـــوّعتني

وجهـــه كريـــه وأنيابهـــا كاشـــراتِ

عرفتهـــا بالغـــدر وهـــي إعـــرفتني

مـــسالمٍ أســـعى لخـــير احـــسناتي

كـــم مـــرةٍ هادنتهـــا واخـــدعتني

مـــا مـــن ســـلامه لـــو طلبـــت النجـــاةِ

كـــم ليلـــةٍ بهمومهـــا أســـهرتني

مـــن كـــل نـــوعٍ تجمـــع المـــشكلاتِ

مـــرٍ لهـــا غالـــب ومـــرّ أغلبـــتني

ربـــي كـــريمٍ قـــيض الحاميـــاتِ

ويـــمّ الـــشمال بـــ(حظوظـــا) رمتـــني

مـــــضيّعٍ في ربعـــــة المهمـــــلاتِ[1]

وتعرّضـــــت ســـــيارتي واقلبـــــتني

بحـــدود قريـــة معـــصف العاصـــفاتِ

ومـــا بـــين بقعـــا والنفـــود احجـــرتني

تجمعـــــت بقعـــــا لبقعـــــا الـــــصفاتِ

ومـــابين (دومـــه) والحـــدود أرهقـــتني

مـــن شـــرها رخـــصت عليّـــه حيـــاتي[2]

- - - - - - - - - - - - - -

(١) حظوظاء: موضع في منطقة الجوف شمال غرب المملكة، ويقع على بعد ٢٩كم شمال شرق مدينة العيساوية، وهو عبارة عن مباني ودوائر حجرية مبنية من الحجارة البازلتية السوداء.

(٢) دومة: مدينة دومة الجندل بمنطقة الجوف في شمال غرب المملكة.

ومـــن دون (قـــارا) بـــالنفوذ إلحقـــتني

مـــا مـــن مـــلاذ غـــير هـــاك الغـــضاةِ[1]

ريـــم (البـــسيطا) في فلاتـــه لقـــتني

بيـــوم سمومـــه لاهـــبٍ بالفـــلاةِ[2]

أنازعـــه ظـــلٍ عليـــه إسبقـــتني

لمّـــا ظَهـــرَتْ وبعـــضها نايـــماتِ

روّعتهـــا والحـــق هـــي روعـــتني

حيـــث الـــبلاء صـــوّر لـــي الجازيـــاتِ

---

(١) قارا: تكتب هكذا (قارة)، وهي بلدة تقع بالقرب من مدينة سكاكا، بمنطقة الجوف.

(٢) البسيطاء: تقع في منطقة الجوف شمال غرب المملكة، ويحدها من الشمال وادي مدرج ومن الجنوب نفوذ الغويطة، وتشتهر البسيطاء بكونها منطقة زراعية، وقد جذبت إليها في الآونة الأخيرة عددًا من المشاريع الزراعية الضخمة.

طُعـــمٍ لذيـــذٍ في لحومـــه غـــذتني

أطلقـــت أنـــا ســـهمٍ مـــن الـــصايبات

يـــوم أنهـــر الـــدم الغزيـــر إجـــذبتني

صـــوب الفيـــا في مهلـــك الهالكـــات

لا شـــربةٍ بيـــدي ولا حـــذاً وقـــتني

الجـــوّ حـــامي والقـــدم حـــافيات

أثـــر الـــبلاء في طـــراده دعـــتني

حـــرٍ شـــديدٍ والـــوطى حاميـــات

ومـــن شـــرق(حـــسمى)بـــالفلاة أدركـــتني

تمكّنـــت منّـــي وحانـــت وفـــاتي[1]

- - - - - - - - - - - - - -

(١) حسمى: منطقة تقع الى الغرب من مدينة تبوك، ومن أهم آثارها جبل اللوز الذي يقع على بعد ٢٠٠كلم غرب مدينة تبوك، ويعتبر من أعلى السلاسل الجبلية في منطقة حسمى التي تعد جبالها امتدادا لجبال السروات.

حَفَــــرت قـــبري بـــاليمين إدفنـــتني

مستـــسلمٍ واعـــضاي مستـــسلماتِ

أجبـــت يـــوم إن المنايـــا دعـــتني

بـــديار مـــدهال الـــوَحَشَ والمهـــاةِ

سـجّيت جـسمي مثـل مـا أمـي أولـدتني

بمغـــارةٍ في ضِـــل هـــاك الحـــصاةِ

وضـــعت جـــنبي والمنايـــا دعـــتني

بترابهـــا واريـــت جـــسمي وســـواتي

بقيـــت لـــين إن العنايـــة أتـــتني

عنايـــة اللّه عنـــد الأخطـــار تـــأتي

نهـــضت مـــن قـــبرٍ رمالـــه حـــوتني

مـــن الـــشروق لغـــاب نـــوره وفـــاتِ

لقيـــت رحلـــي بـــالجوار إحترتـــني

محبوســـةٍ رغـــم الـــضما بـــالفلاةِ

لا حابـــسه ولِـــفٍ ولا هـــي أولفـــتني

مفلوتـــةٍ مـــن قيـــدها انفـــلاتِ

والحمـــد للّه مـــيّ الـــسماء أمطـــرتني

مـــزنٍ حقـــوقٍ بالحيـــا ممطـــراتِ

مِـــن المـــوت اليقـــين أنقـــذتني

يـــوم التفـــت ربـــي علـــي التفـــاتِ

مـــن أفعالهـــا شـــقيقتي أنكـــرتني

لمّـــا رأت وســـومها بـــارزاتِ

أغلقـــت بابـــه بـــوجهي اهجـــرتني

رغـــم المنـــادا يـــا كـــبيرةْ خـــواتي

أنـــا أخـــوكِ ولـــو غيّرتـــني

شـــر البلايـــا مـــا تغـــير اصـــواتي

تعـــرّفي صـــوتي ولـــو ســـوّمتني

ســـوم العـــذاب وغيّـــرتْ لـــي صـــفاتي

لكنّهـــــا بجفالهـــــا جفلّـــــتني

شـــعرتْ بالخيبـــة وخابـــت ســـواتي

تراجعْـت بعـد اليـأس يـوم اكـسحتني

مـــا لومهـــا كانـــت مـــن النادمـــاتِ

مـا مــرّ بــه يـوم سمـوم نــاره صـلتني

عاشـــت وداعـــه صـــحبة الوادعـــاتِ

مـا مِــن صــديقٍ حــسْ مــا أوجعــتني

ولا رفيـــــقٍ قـــــام بالواجبـــــاتِ

محـــدٍ درا بـــي لـــو خَــذَتْ أو عطــتني

النـــاس تــسخر مــع كـــثير الـــشماتِ

متاعـــبٍ لـــو مـــا لقيتـــه لقـــتني

ومـــا قـــدّر المـــولى علـــى العبـــد يـــأتي

عالجـــت أنـــا بقعـــا وهـــي عـــالجتني

واليـــوم أنـــا قـــررت أرمـــي عـــصاتي

منـــــوّخٍ رحلـــــي ولــــو رحّلـــــتني

مـــسلّمٍ أمـــري وموصــــي وصــــاتي

والحمــــد للّه رغـــمْ مــــا لاحقـــتني

سِــلمتْ مـــن شـــر الـــبلاء والأفـــاتِ

اللّه وقـــاني كـــل مـــا حـــاولتني

والحمــــد للّه يـــوم قــــدّر نجـــاتي

قـال ~ :"المناسـبة/ كنـت سـاري في الـصحراء لطلب الماء بعد ظمأ شديد، وكانت تلك الليلة مظلمة شديدة العسام حيث اختفى عن نظري كل شيء، ثم أسقاني ربي من مياه المطر رغم شدة القيظ "

وفي نـسخة أخـرى قـال ~ : مناسـبتها/ في هـذه القصيدة أصف بعض ما واجهته ذات ليله من البلاء إذ كنـت سـاري يحـدوني الظمـا وخطـر المـوت، في ليلـة شـديدة الظـلام مغبرة لا أرى يدي أمـام عيني حتـى ولا بعيري ولا الجبل على ضخامته وكبره لا أراه من شـدة الظلام، في هذا أصف بعض ما حصل لي في تلك الليلة فأقول:

سَـــرَيتْ في ليـــلٍ شـــديدٍ ظلامـــه

حلْــك الظـــلام وجـــن فيـــه الجـــنينِ

أجلـــبْ علـــيّ الليـــل وأجلـــبْ عـــسامه

وأمـــسيت غابـــت عـــن عيـــوني يـــديني

غــاب الجمــل ثــم غــاب عنّــي ســنامه

لجّ الظـــلام اللـــي ســـتر مـــا يـــبينِ

حتـــى بعـــيري مـــا يميّـــز جهامـــه

جـرف المسيل اللـي كمـن لـه كمـينِ

يـــوم إن تـــرّدى قـــاذفٍ بـــي أمامـــه

قحـــصت أنـــا ثابـــت بربـــي يقـــيني

قمـت أتلمـس مـا انكـسر مـن عظامـه

لقيـــــت ربـــــي واقـــــيٍ معتنـــــيني

ثــار الــبعير وقمــت أنــا أمــشي أمامــه

متخـــوفٍ مـــن وقعـــةٍ مـــا تـــزينِ

وشـــيش ثعبـــانٍ عـــدا مـــن منامـــه

لا شـــايفٍ شـــيء ولـــو هـــو يلـــيني

يـــارب ســـلّم وادفـــع الـــشين شـــامه

أنـــت الكـــريم وربنـــا يـــالعويني

والحمـــد لـــك يـــا رب منـــشي الغمامـــه

يـــوم أمطـــرت مـــن ميهـــا مـــستقيني

قال ~ :

نايت أنـا قبـل النِـداء وقـت الأسـحار

ربٍ كـــريمٍ جـــاب خلـــقٍ مجيـــبين[1]

يـنــصرإسلامٍ صــارفي كــل الأمــصار

مجـــرّمين أهلـــه وراهـــم مـــسلمين[2]

اللّه يبعـــث قائـــدٍ يأخـــذ الثـــار

يـــرد عـــن صـــاع المعـــادين صـــاعين

يحــشد لهــم جــيش مــن العــرب جــرار

مـــــسلحٍ بـــــالحق والعلـــم والـــدين

يعلــو ديــار الــصرب والــصرب كفــار

واللـــي ســندهم مــن جميــع المعــادين

---

(١) جاب : أجاب .

(٢) وراهم : ما بالهم .

بقـــدرة اللـــي يمـــسح الـــذل والعـــار

اللـــي بلانـــا بـــه عبيـــد الـــشياطين

واليـــا انتـــصرنا نعمـــر البيـــت والـــدار

بقـــدرة اللّه كـــل شـــيء لنـــا زيـــن

قال ~ : "مناسبتها/ قلت عندما باقني الشباب، وأوقع بي بين الأحباب، مرض شل حركة الأعصاب، وحبسني داخل الأبواب، وقد احتسبت على الله الأجر والثواب":

(أسـيـر) في بـيتي مـع أهلـي وسِـربي
مـن غـير حكـمٍ مـانعٍ مـن ذهـابي[1]

كـن القـدر قيّـد مـسيري بكربـي
لـو سِـرتْ أنـا مـشوار زاد بعـذابي

مَـرّ الـشباب بريـشه اللـي شَـهَر بـي
واليـوم عـن جهـدي رأيتـه رمـى بـي

---

(١) أي كأنه أسيرٌ في منزله مع أهله وأولاده وذلك من غير أن يكون هناك حكمٌ يمنعه من الذهاب والخروج كالإقامة الجبرية مثلاً.

حــلّ الــوهن والجهــد شــفته غــدر بــي

عيّـــان مـــن نـــومي ولبـــسي ثيـــابي[1]

كَــنّ العيــا والــشيب خــصمٍ مَكَــر بــي

مـــا كـــان هـــذا واردٍ في حـــسابي

يـــا رب يـــا مـــولاي دار الـــدهر بـــي

دارت لياليهـــا مـــع أيامهـــا بـــي

زاد الإحـــساس اللـــي قـــديمٍ بـــدَرَ بـــي

مـــن ســـن عـــشرٍ دام يملـــى لبـــابي

مـــرٍ يـــسنّد بـــي ومـــرٍ حـــدر بـــي

في كـــل صـــوبٍ دام يطـــرد ركـــابي

بـــديت مـــن لاشـــيء ســـعيي ودربـــي

وعـــبرتْ دورات الزمـــان الـــصعابِ

- - - - - - - - - - - - - -

(١) عيّان: من الإعياء والتعب .

واليــوم بعــد الــسعي شــرقٍ وغــربِ

مــا زلــت مِــن شــوط الحيــاة بعــذابِ

تضعــضع الجهــد الــذي كــان يربــي

في كــل مــسعى كــان يهــوى الروابــي

يامــا ســعيت بعــون ربــي شَــمَرْ بــي

فــوق الــصعابْ مــذللٍ للــصعابِ

ويامــا عَــدَيَت بليلــةٍ والــسهر بــي

أســابق الأحــداث عــدَوَ الــذيابِ

ويامــا وقفــت بوجــه شــرسٍ كــشر بــي

لامــا تنحــى بعــد كــشْر النيــابِ

ويامــا شــكرني آمــرٍ وأفتخــر بــي

غِــب النتــايج معجــبٍ بــي إعجــابِ

واليــوم أنــا بالــدار محــدٍ شــعر بــي

بــين الولايــا مرخيــات الحجــابِ

رخــصت يــوم إن الــشباب انحــسر بــي

أكــبر عيــوبي كــان فقــد الــشبابِ

(أســير) مــن فعــل الزمــان انحــدر بــي

مـــن فعـــل ســـتينٍ وســـبعٍ حـــسابِ

تخاصـمت نفـسي مـع أكلـي وشـربي

وبـــديت (جـــدرٍ) آيـــل للـــترابِ

والحمـــد لله فــضل جــوده جــدر بــي

وعـــرّفني المعـــروف قبـــل الحـــسابِ

قال ~ : " مناسبتها/ تذكرت قسوة الحياة في هذه الدار الدنيا فقلت " :

يـــا دارْ مـــا بـــيني وبينـــكْ صـــداقهْ

أنـــتِ عـــدوٍ مـــن كبـــار المعـــادينْ

صَـــليَات نـــارِك مـــستمر إنطلاقـــه

مـــا مـــر يـــومٍ مـــن بـــلاكِ معـــافين

يـــا دار راســـي داميـــاتٍ فلاقـــه

مـــن فعلـــكِ يـــا دار فعـــل المعـــادين[1]

يـــا دار يـــا دار النّكـــد والمحاقـــه

أنـــا أشـــهد انـــك للبلايـــا تحـــوكين

أمـــسيت يـــوم فيـــك مثـــل الحراقـــه

أنكرنـــي الـــصاحب وربـــعٍ قـــريبين

---

(١) فلاقه: أي جراحه.

مــن حِملــك الجــاير ثقيــل الوســاقه

ســـكّانكِ يـــا دارْ ربـــعٍ مغيريـــن

يــا دار جــسمي عايــبٍ مــن ارهاقــه

مــن نــشأتي وأنــتي علينــا تجــورين

شــــرّك علينـــا زايـــدٍ بإنـــسياقه

مــن يــوم كنّــا بــك صــغار وديعــين

واليـــوم ذا جـــورك توسّـــع نطاقـــه

مــدري متــى يــا دار شــرّك تكفّــين

ياليـــت مـــا بـــيني وبينـــك علاقـــه

يـــا دار مـــا كنـــا بـــكِ مـــستريحين

فيـــك الـــبلاء والهـــمّ والحـــزن فاقـــه

فيــك الكــدر والكيــد يــا دار فكّــين

فيـــك الـــبلاء مُـــرٍ كريـــهٍ مذاقـــه

ذقنـــا و مـــا زلنـــا نـــذوق الأمـــرّين

يــا دار مــا بقيــت لنــا فيــك طاقــه

كنـــتِ لنـــا دارٍ وكنّـــا مقـــيمين

واليـــوم مـــن ودّك قطعنـــا العلاقـــه

مـــا عـــاد مِنّـــا عـــودةٍ لـــو تريـــدين

حـــل الرحيـــل وحـــل يـــوم انطلاقـــه

والخـــير كـــل الخـــير حـــظ المـــصلين

يـــا دار يـــومٍ فيـــك رزقـــي اشـــفاقه

أســـعى وراه وربّنـــا قـــدّر الـــزين

ويـــومٍ غـــرورٍ مغـــري في اشـــراقه

يغفـــل بـــه الغافـــل رحـــول الـــشياطين

يـــا دار لـــو زلّ القـــدم في انزلاقـــه

مـــنتي بنـــا حـــقٍ رحـــومٍ تـــروفين[1]

---

(١) تروفين: أي ترأفين وترحمين.

يـــا دار كـــل اللـــي كـــسبنا بطاقـــه

نـــشهد بـــه التوحيـــد للـــرّب والـــدين

يـــا دار مِـــن جـــورك نـــدافع بـــساقه

يامـــا ثنينـــا دون هـــاك الرضـــاعين

واليـــــوم شـــبّان شـــباب وطاقـــــه

الكـــــل مـــــنهم بالوفـــــاء مـــــستعدّين

منـــــابعٍ للجـــــود أصـــــل وعراقـــــه

رجـــال مـــن نـــسل الكـــرام الميـــامين

أخلاقهـــــم تـــــسمو بهـــــم واللياقـــــه

فهـــودٍ علـــى الواجـــب سـباقٍ ســـريعين

عِـــــزٌ وفَخَـــــرْ لأهلـــــهم والرفاقـــــه

والجـــار والعـــاني وكـــل المحقّـــين

نـــبني بهـــم بيـــتٍ وســـيعٍ رواقـــه

سِـــتر ومـــلاذٍ للأهـــل والمحـــبّين

لا مـــــسّهم يـــــومٍ شـــــديدٍ بفاقـــــه

ولا غرغــرت مــنهم دمــوعٍ مــن العــين

قال ~ :" مناسبتها/ شعرت بالأسى والحزن، على سنين من الشباب قد قضن، بعيد عن الأهل والوطن " .

وفي نسخة أخرى قال ~ :" وفي ذكر ما مر علي من أيام شبابي التي أمضيتها في مراكز الحدود في المنطقة الشمالية الغربية وكنت في معزل عن المجتمع وعن الحياة العامة، في ذكر تلك الحقبة أو العقود من الزمن التي مرت علي أقول بكل لوعة وحسرة وأسى":

وا عمريَ اللي راحْ جلّه خساره
مابين حقل وحاج والنبك والجوف[1]

---

(١) حقل، وذات الحاج، والنبك أبو قصر، والجوف، هي مواضع في منطقة الحدود الشمالية، عمل بها الوالد ~ سنين طويلة.

مراكــزٍ مــا بــه مــن الخــير شــاره

ياما علـى فراقـه تلاقـنّ الكفـوف[1]

مراكـــزٍ فيهـــا ســـكنّا المغـــاره

والكــوخ والعــشّة ســكنّاه وكهــوف

بيـــت الـــشّعَر فيهـــا نديـــد العمـــاره

مــا واحــدٍ مــنهم لقــى بيــت مِــن صــوف

مراكـــــزٍ مأمورهــــــا والأمــــــاره

والــرأس والمــرؤوس بــالفقر مكتــوف

عقـودٍ مـضت مابـه مـن الكـسب بـاره

لا راتــبٍ يــسوى و لاهـــوب مـــصروف

ســـادْ الزمـــان اللـــي تـــوارى مـــراره

مـــرارةٍ بالـــذوق والـــسمع والـــشوف

- - - - - - - - - - - - - -

(١) تلاقـنّ الكفـوف: أي اصطك بعـضها بـبعض، إشـارة إلى تمنـي الرحيـل والفراق.

كسورٍ توالت مالها من جباره

أعيت بهاالأطباب والأصل معروف

غير الإله اللي إليه المساره

ما شيء يَجبُرني ولو كان موصوف

واليوم أنا بأرض الحرم في جواره

أسعى بمسعاها وراء البيت وأطوف

أهوى هوا مكة وسُكنى (القراره)

في ربوةٍ يعرف بها كل معروف[1]

اللّهْ جعل حُبّهْ لقلبي مداره

مستهدفين البيت للأجر مهدوف

بيت بُني للّه بتلك الحجاره

حجارْ عن كل الحجر ما بها نوف

- - - - - - - - - - - - - -

(١) القرارة: حي من أحياء مكة المكرمة يقع في وسطها قريباً من المسجد الحرام.

قدســــية البقعـــة يـــضاعف اجـــاره

للمــؤمن العامــل بهــا شــاف لــه شــوف

فيهـــا الهنـــاء والخـــير في كــل حـــاره

ومـــن الهنـــاء يوجــد بهــا كــل مـــألوف

فيهـــا الـــسعدْ مـــن كــل جـــارٍ لجـــاره

والــــرزق والخـــيرات أنـــواع وصـــنوف

دارٍ بهــــا في كــــل حــــين بــــشاره

أضـــعاف بهـــا أجـــر المـــصلين بـــصفوف

والعتـــق مـــن نـــارٍ تزايـــد حـــراره

لجنـــات فـــردوس لـــه القلـــب ملـــهوف

فـــرض الـــصلاة لكـــل مـــسلم شـــعاره

الأجـــر في مكـــة يـــضاعف بـــه ألـــوف

دارٍ لهـــا مِـــن كـــل مـــسلم زيـــاره

يـــأتي لهـــا الحجـــاج طُـــوفٍ وراء طـــوف

الحمـــــد للّه يـــــوم صـــــحح مـــــساره

يـوم انكـشف للقلـبْ مـا كـان ملفـوف



قال ~ :

صــوتٍ هَمَــسْ بالبــال صــوتَ المناجــاة

يقـــولْ خـــيرٍ بـــالوطنْ ســـوف يـــأتي

في ليلـــةٍ ظلمـــا سمعـــتَ المنـــاداة

منـــاديٍ صـــوتٍ بالأعمـــاق بـــاتِ

يقـــول مـــا بـــيني و بينـــك معـــاداة

أنــا الــوطنْ بِــرّي ولــو غــاب يــأتي

كـــم دورةٍ دار الـــدّهر فيّ دورات

يـــومٍ شـــديدٍ يـــذهل المرضـــعاتِ

ويـــومٍ درور منـــسيٍ كـــل مـــا فـــات

فيـــه الهنـــاء واللـــي تمنـــاه يـــأتي

ركبــت رحلــي مــن بــلاد (القريــات)

وَجَــدي علــى أرضٍ بــه الميْــت مــاتِ

عانيــــت أنـــا منهـــا شــــديد المعانـــــاة

وعرّضــــت فيهـــا للمهالـــك حيـــاتي

يــوم اقتربــت وبــان لــي خــشم(أبانــات)

ذكـرت بعـض اللـي مـضى لـي وفـاتِ[1]

كــم روّعـــتني روعـــةٍ بعـــد روعـــات

فيهـــا عرفـــت محـــب والكارهـــاتِ

باريـــت أنـــا فيهـــا كـــريم المبـــارات

وأدليـــت دلـــوي قبـــل وِرد الـــرواةِ

والحمـــد لله خِـــيرةَ الله لِنـــا جـــات

سِــرنا الطريــق اللــي بــه الخــير يــأتي



---

(١) المقصود جبال الأبانات المعروفة في القصيم.

قال ~ :

في ليلـــةٍ فيهـــا هـــوا القـــيظ لهّـــاب

منـــذُ ثـــلاثٍ ألهبـــتْ في ضـــمانا

يـــوم ادلهـــمّ الليـــل بغبـــار واتـــراب

وغابـــت نجـــومٍ ضـــوّها اهتـــدانا

وغـاب الـصديق اللـي صـدقنا والأقـراب

ومِـــن كـــل مخلـــوقٍ قطعنـــا رجانـــا

دعيـــت ربٍ يـــسمع الـــصوت ماغـــاب

يـــا رب جـــودك فـــالهلاك احتوانـــا

جانـا الفـرج عجـل مـع الـريح منجـاب

في ليلـــةٍ ســـودا خطرهـــا غـــشانا

في مزنـــةٍ تحمـــل مـــن المـــيّ مـــا طـــاب

بالنجـــدة اللـــي أقبلـــت مـــن سمانـــا

يــوم اســتهلت صــافي المــزن منــساب

فــوق الــصفاة اللــي حــوَت مــا روانــا

مــن نجــدة ســاقه لنــا رب الأربــاب

الحمــد للمــولى هــو اللــي ســقانا



قلت: أرسل له والده ~ رسالة يسأله فيها عن حاله، وهو إذ ذاك في عمله بالمنطقة الشمالية الغربية وقد انقطعت أخباره عنهم لفترة طويلة.

قال والدي ~ : " مناسبتها/ جاءني كتاب من والدي يعبّر عن الشوق والحنين إلى اللقاء ويوصي بالزيارة بعد أن طال الغياب، وكنت أشاركه أشواقه فقررت السفر لزيارته رغم انقطاع الطرق وقلّة وسائل الاتصال والموصلات، وكان الوقت قيظ شديد الحرارة وكانت الصحاري التي أمامي وعرة المسالك ومياهها نادرة ولا تخلوا من قطّاع الطرق، ولابد من ركوب الصعب فركبته وقلت " :

حيّ الكتاب اللي لفى بالتحياتْ

حيّه وحيّ اللي بعثْ بالوصاةِ

يا مرحبا به عد نبت النباتات

وإعداد ما أينع قويّ النباتِ

حيّــه عــدد مــا غــاب فــوق الــسماوات

ومـــا بـــالبحر والـــبر حـــي ومـــواتِ

ســاعة قريتــه مــاج بــالفكر موجــات

هـــيّج شـــجونٍ بالحـــشى كامنـــاتِ

زوّد حنـــــيني للأهـــــل والقرابـــــات

وأرضٍ بهـــا أمـــضيت مقـــدم حيـــاتي

وقــت الــصبا بأطرافهــا جلــتْ جــولات

تـــذوّقت دبـــج مياههـــا والفـــراتِ

فيهـــا حبيـــبٍ لـــه رفيـــع المقامـــات

ودّي أزوره قبـــل فـــوت الفـــواتِ[1]

وأســـعد بـــشوفه بالـــشرف والمباهـــاة

وأرجـــي بـــه المـــولى يزيـــد احـــسناتي

- - - - - - - - - - - - - -

(١) يقصد والده ~ .

لأجلـــه تحمّلـــت الـــسفر والمعانـــاة

وعرّضـــت فيهـــا للمهالـــك حيـــاتي

تعرّضـــت للبيـــداء بليـــا مبـــالاة

رغـــم المنايـــا بأرضـــها مـــاثلاتِ

ركبــت رحلــي مــن بــلاد (القريّــات)

وحيــد مــا لــي صــاحبٍ بــالفلاةِ[1]

رغـــم المـــضامي كامنـــة بالمفـــازات

ومخـــاطرٍ فيهـــا مـــن المهلكـــاتِ

يــوم اقتربــت وبــان لــي خــشم (أبانــات)

ذكــرت بعــض اللــي مــضى لــي وفــاتِ

قـــومٍ تحـــب محبهـــا والمـــصافات

وقـــومٍ تـــروّح بالمكـــارم وتـــأتي

---

(١) يشير هنا إلى رحلته الرهيبة التي نجى فيها من الكثير من المهالك.

وقـــومٍ تجاهـــد بأرضـــها بالزراعـــات

وقـــومٍ ربيعـــه بـــالربيع الرعـــاةِ

ودي أزوره بالـــسنة عـــشر مـــرات

وأبـــات أنـــا فيهـــا هـــنيّ المبـــاتِ

حيـــث إنهـــا دار الوفـــاء والكرامـــات

والخـــير فيهـــا للمريـــدين يـــاتي

وأخـــتم كلامـــي بالثنـــا والتحيـــات

علـــى الـــنبي الهـــاشمي والـــصلاةِ

قال ~ : موجهاً الكلام إلى بعض أبناءه:

عانيـــت مـــن دربٍ شـــديد المحـــالي

أسعى على الأقدام وأدعس على الشوك

عـــبر الجزيـــرة جايـــلٍ في مجـــالي

خـواطرٍ دكّـت علـى القلـب داكـوك

بـــشرق الـــبلاد وغربهـــا والـــشمالِ

أسـعى ورا رزقـك وأنـا أرقبـك واخـوك

وكـــل المخـــاطر مـــا لهـــا في خيـــالي

عوامــلٍ تغلــب علــى القلــب وتحــوك

ممكــن تجيــب الهــدي مــن كــل غــالي

وتقدّمـــــه للـــــي يعـــــزّك وعـــــزّوك

وإن عثّـــرت بـــك مظلمـــات الليـــالي

ينـــأى خويـــك والمـــوالين خلّـــوك

اتـــرك خـــويٍ جاهـــلٍ مـــا يبـــالي

مــشمول مــن فــضلك وبــالخير حبّــوك

أوصــيك باهلــك مــا لــك اليــوم والــي

يرعــى شــؤونك غــير أهلــك يوالــوك

هــم اللــي لهــم دورٍ علــى كــل حــالِ

وهــم الــذي لا باعــك النــاس يــشروك

قــال ~ : "مناســبتها/ كنــت رئــيس مركــز الـدفاع في الحـدود الـشمالية الغربيـة في مغير الطبيـق[1] وكان الراتب لا يصرف لنا إلا بعد مرور بضعة أشـهر، واللحم لا وجود له ولا نكاد نذوقـه إلا إن كـان صـيداً نبحث عنه في الصحراء، وكان الصيد غالباً يوجد في مناطق بعيدة نسبياً عن المركز مثل صيفور أو جبال الطبيق، وفي يومٍ من الأيام أردت أن أشجع أحد الجنود لأنه نشيط يستطيع أن يقطع المسافات البعيدة ومتدرب على الرماية تدريب جيد وماهر في اقتناص الصيد واسمه ناصر بن مثيب السبيعي، فقلت هذه الأبيات ".

---

(١) الطبيق: منطقة تقع في شمال غرب البلاد على الحدود مع المملكة الأردنية، وهي الآن محمية طبيعية تبلغ مساحتها ١٢٢٠٠ كيلومتراً مربعاً، وأبرز الحيوانات في هذه المحمية هي ظبي الريم والوعل والذئب العربي.

يـــابن مثيـــب الله يودّيـــك (صـــيفور)

فيْ ســـهلةٍ تلقـــى بهـــا الـــريم يجتـــالْ[1]

إليـــا عَـــدَيت الـــصّبح مـــع فجّـــت النـــور

تلحـــق هـــواك وتـــدرك اللّـــي علـــى البـــالْ

وإلاّ شمـــــالٍ تطـــــرد الوعـــــل بـــــالطّور

فيْ ســـاعةٍ يطّـــربْ لهـــا طيّـــب الفـــالْ

بـــين الظبـــا والوعـــلْ بالـــصيد مـــسرور

يـــومٍ ســـعيدْ وكـــل يـــومٍ لنـــا حـــالْ

---

(١) يجتال: يتجوّل.

قـال ~ : "مناسـبتها/ عزمـت علـى الـسفر مـن تبوك إلى البكيرية فطلبت إجازة من العمل ثم اشتريت ذلول من (إبراهيم السليمان النملة) للسفر عليها، إذ لا يوجد غيرها فلا طـائرات ولا سيارات، وكـان الطريق مناطق جبلية تحـرف المسافر عن اتجاهـه خصوصاً إن كان ممن لا يعرف الطريق مثلي، ويعتمد بعد الله على الاتجـاه ومعرفـة النجـوم، وكـان الوقـت شـدة القـيظ والأرض حارة والمياه نادرٌ وجودها ولا يعرفها إلا من لـه خبره في المنطقـة، والطريـق غيرمـأهول ، فـلا بـدو ولا طراقـي أو مـسافرين لقحـط الـديرة وقلّـة مياهها فـلا يسلكها مسافر ممن يعرفها ولا بدو إلا أيام الربيـع، وقـد حـذرني مـن يعـرف تلـك المنطقـة بتجنبها وعـدم التعـرض للـهلاك المحقـق، لكـنني كنـت مـضطراً فالإجازة لا تحصل في أي وقت أريده، ثم إنني لو طلبت الخـوي لا أجـده، و بـدافع حـب زيـارة والـديّ وأقـاربي وبـدافع الإقـدام والجـرأة وعزيمـة الـشباب لم أتـردد في السفر منفرداً رغم وجود قاطع طريق أعيا الحكومة

في القبض عليه، وقد تعرّضت في ذلك السفر إلى عدة مهالك، وقد أنجاني الله بعد أن حفرت قبراً ودفنّت نفسي فيه حين أهلكني الظمأ، إلا أن الله سبحانه وتعالى أنجاني وأنقذني بماء المطر رغم أنه لم يسبق عادة أن نزل المطر في أيام القيظ في تلك المناطق، قلت في ذلك:

(النملــة) اللـــي بـــاع منّـــي رحـــولي
حـــذّرني المـــضماة والمـــوت قـــدّام
قـــال المفـــازة غالـــبٍ مـــا تحـــولي
دون الـــذي تهـــواه لـــو كنـــت مقـــدام
زودٍ علـــــى قِـــــلّ المـــــوارد محـــــولي
كـــم واحـــدٍ قبلـــك رقـــد بـــه ولا قـــام
هـــذا مـــع إنـــكْ في وهـــاده جهـــولِ
سمـــوم قـــيضٍ وافـــق اليـــوم حمّـــام[1]

---

(١) سموم: السموم هو الهواء الحار، قيض: القيض هو شدة الحر.

كـــم خـــار فيهـــا مـــن هجـــين الـــذلولِ

استـــسلمت يـــوم الحفـــا صـــاب الأقـــدام

فيهـــا مـــن الأخطـــار شـــيء يهـــولِ

زودٍ علـــى الأخطـــار مـــأوى للإجـــرام

قطّـــاع طَـــرْقٍ بـــه تجـــول و تـــصولِ

كـــم شـــلّحوا فيهـــا طراقـــي وخـــدّام[1]

لكـــنّ مولايـــا مـــنحني ميـــولي

نحـــوالتحرك صـــوب الأدنـــين مـــا دام[2]

ربـــي مـــنحني حـــبهم ويـــش أقـــولِ

أمـــي وأبـــوي أيـــضا خـــوالي والأعمـــام

قلـــبي علـــيهم مـــن قـــديمٍ يجـــولِ

يهـــوى الزيـــارة في ســـريعات الأيـــام

- - - - - - - - - - - - - -

(١) شلحوا: سرقوا ، الطراقي: المسافرون ، الخدّام: عمّال الدولة .

(٢) الأدنين: الأقربين.

وأنـــا بعيـــد الـــدار ثقلـــنّ حمـــولي

مـا تحـصل الفرصـة علـى مَـرْ الأعـوام

مخـــاطرٍ والكـــربْ يـــوم ويـــزولِ

لـو حـذّر (النملـة) أنـا اليـوم عـزّام



وقال ~ :

سـبحانْ ربـي خـالق الخلـق كلـهْ

ربـي خلقهـم للعبـادة والإحـسانْ

بعـض البـشر هرجـه كـثيرٍ ودجلـه

مـا يعـرف المعـروف عبّـاد شـيطان

شـرير في فِكـره ويّـده ورجلـه

غـمٍ علـى أهلـه وربعـه وجـيران

لـو بيَـعَ مـا يـسوى ولا رأس فجلـه

مثـل الجـرب حـدّه بـزرنيخ قطـران

إن شـاف نمّـامٍ بَـشَرّه هـرج لـه

يـسعى وراء الخيبـة ولـو كـان خـسران

عقوبتـه لا بـد تأتيـه عجّلـه

عـذاب بالـدنيا والأخـرى بـنيران

مَـيْ الفـرات وزايـده مَـيْ دجلـه

مـا طهّـره لـو دلّكـه كـل الأعـوان

قال ~ :

يـــا دارْ واللّهْ مـــا عليـــكِ حـــسوفهْ

يامـــا صـــبرنا فيـــك رغـــم الكلافـــهْ

كـــان الـــبلاء ماثـــل عيـــوني تـــشوفه

كـــالنهر جارفنـــا تحـــدّه ضـــفافه

مـــوجٍ تقاذفنـــا تلاطـــم جروفـــه

مـــرٍ فـــراشٍ لـــه ومـــرٍ لحافـــه

لا بـــد مـــن يـــومٍ تجينـــا ضـــيوفه

حتمـــاً يجيـــب مـــضيّفٍ مستـــضافه

وبناتتـــا بـــرٍ قليـــلٍ وصـــوفه

وإخـــوانهن عـــينٍ لنـــا بالخلافـــه

أمـــانهن مـــن كـــل غايـــل ولوفـــه

بعـــد الـــولي لـــو لايـــف الـــدهر لافـــه

نفـــسي عـــن الــــداني أنــــوفٍ عزوفـــه

لــــو زينــــوا لـــــه غـــــير زيـــــنٍ تعافـــــه

مــــا طــــاب لـــه غـــرٍ يخـــضب كفوفـــه

مــــادام عــــن ربــــي بعيــــد المــــسافه



قال ~ :

هــات القلــم واكتــب خــواطر فــؤادي

يمليــه فكــري والقلــم ســار بيــدي

اكتــب مـــن القـــا في بيـــوتٍ جـــدادِ

ســـريع مـــن فـــيض الخـــواطر تزيـــدِ

ذكــرت أنــا وقــت مــضى مــن جهــادي

يـــوم الـــسواعد صـــامدة كالحديـــدِ

كـــم ليليـــةٍ جنّـــة شـــديد الـــسوادِ

أمـــسيت فيهـــا حـــارسٍ بالجليـــدِ

متـــيقظٍ واليـــدْ فـــوق الزنـــادِ

أمـــام خـــصمٍ لـــي شـــديدٍ عنيـــدِ

يـــوم إلتقينـــا في بعيـــد الـــبلادِ

صـــادوه رجـــالٍ للغنـــايم تـــصيدِ[1]

الـــرأيْ والتـــدبيرْ قبـــل العتـــادِ

واللـــي رقـــدْ واجـــهْ حـــسابٍ شـــديدِ

والحمـــــد للّه رب كـــــل العبـــــادِ

الخـــــالق المعبـــــود رب العبيـــــدِ

كـــم ليلـــةٍ فيهـــا تركنـــا الرقـــادِ

نـــسعى علـــى ذاك الطريـــق الـــسديدِ

وكـــم جولـــةٍ فيهـــا فقـــدنا الـــودادِ

مـــا مـــن صـــديق صـــادقٍ أو ودودِ

بـــين الوحـــوش الـــضارية ســـرت عـــادي

أريـــــد أنـــــا شـــــيءٍ وربـــــي يريـــــدِ

---

(١) يشير هنا إلى الواقعة التي واجهه فيها هو واثنين من جنوده العشرات من المهرّبين والمجرمين فتغلبوا عليهم بفضل الله سبحانه وتعالى .

أراد بـــي خـــيرٍ كـــثير الاعـــدادِ

الحمـــد لـــه حمـــدٍ كـــثيرٍ عديـــدِ

قـال ~ : " مناسـبتها / أصـابتني وعكـة شـديدة في ليلـة الجمعـة ١٢ جمـادى الآخـرة ١٤٠٧هـ فأنجـاني اللّه منها " :

البارحـــــهْ زاد المــــرضْ واحتــــواني

ضــــنيتْ إنـــي هالـــكٍ لا محالـــه

رجعـــت للّه يـــوم كـــلٍ جفـــاني

ذاك المجيـــب وكـــل مـــابي أزالـــه

ربـــي كـــريمٍ مـــن قـــديمٍ حمـــاني

ودافـــع مـــن العـــدوان شـــر الــضلاله

الحمـــد لـــك يـــارب في كـــل آنِ

أحمــدك وأشــكرك يــاعزيز الجلالــه

قال ~ : " وفيها قلت أيضاً ".

أطبــق علــيّ المــوت- ضَــيّقْ خناقــه

في ليلــةٍ مجــدا مــن النــاس مخلــوق

يــوم اقــترب منّــي مــذيقن مذاقــه

ناديــت ربٍ يــسمع الــصوت مــن فــوق

زال الوجـــع وزال عـــني ارهاقـــه

حيــث الفــرج جــاني مــن الــرب مــسيوق

نجيــت مــن مــوتٍ بــدا بــي احقاقــه

الحمــد للّه كنــت أنــا منــه مرفــوق

قال ~ :

عُمــرٍ طويــلٍ كــدّرتْ فيــه الأحــزانْ

مــا مــرْ يــومٍ ســالمٍ مــن كــدرها

أنــا وعمــري مثــل غـضّات الأغـصانْ

في مـــسرحٍ للـــريح تـــذبل زهرهـــا

أنــا نبــذت الــضيم و أقفيــت عجــلانْ

تركــت أنــا أرضــه وقلــبي هجرهــا

متحــريٍ فــضل الــولي ويــن ماكــانْ

شــرق وشمـــال وموغـــلٍ في بحرهـــا

فعل السبب مطلوب لو كان ما كانْ

منـــذ الأزل ومـــسيّرٍ مـــع دهرهـــا

قال ~ :

أرضـــي وســيعة ضــاق فيهــا مجــالي

فكّــرت ﻓﻲ أرضٍ وراء الحــد مِــنْ غــادْ

تطـــايرنّ أفكـــار قلـــبي وبـــالي

لـــولا رضـــاعينٍ علـــى الخـــد رقّـــادْ

أربـــوا بهـــم عـــن كـــل قيـــلٍ وقـــالِ

وأرفـق بهـم مِـن مَـنّ الأقـصين الأنـدادْ

لكـــون طـــيرٍ راغـــبٍ بالأعـــالي

ﻓﻲ قـــارةٍ مـــن حولهـــا الـــصيد ينـــصادْ

أشـــرب مـــن العـــذب العـــذيّ الـــزلالِ

وأطعـــم طعـــامٍ يمّـــه الـــروح تنقـــادْ

لكـــون حُـــرٍ بالفـــضاء مـــا يبـــالي

لا ضـــاقت الـــدنيا علـــى بعـــض الأفـــرادْ

بقلم الفريخ (ومضات وأبيات) ٠٠٣ ١٤٣٠/٠٢/٢٩هـ

قال ~ :" عندما ثقلت اجتمع علي التقدم بالسن وبعض الأمراض -فلله الحمد والمنة- وفي بعض الأحيان أريد أن أقوم من فراشي فأجد في ذلك صعوبة ومتاعب كبيرة بعد أن كنت أقطع الفيافي وأسرح مسرح الذلول على رجلي أمشي من تالي الليل طول النهار إلى نصف الليل الثاني، هرولة وركض في مطاردة الصيد في الشمال، ثم أصبحت الآن أتعب من النهوض من فراشي، فقلت " :

راح الشباب وشاب جهدي وكلّيت

وملّيت من دربٍ كثيف الحجاره

وشربت من مُر المشارب وعليّت

وملّيت من وضع شديد المراره

وردت أنا كل الموارد وأدليت

أدليت دلوي بعد طول المساره

وذقـــت أنـــا مُـــر المتاعـــب وحلّيـــت

حلّيـــــت ﮲ ﮲ فيـ أرضٍ تزايـــــد غبــــاره

في كـل خطـوة سـرت بالـدرب ماخطيـت

ودرت الجزيـــرة برهـــا مـــع بحـــاره

وسـئمت مـــن مجـــرى حيـــاتي وملّيـــت

وســـئلت ربـــي يكـــرمن في جـــواره

واليـــوم هـــذي منـــوتي لـــو تمنّيـــت

فـــراق المتاعـــب يـــوم كـــبرت صـــغاره

مـا عـاد لـي طاقـه علـى الفعـل وأزريـت

أزريـــت حتـــى مـــن مَـــردّ الزيـــاره

بشـ الفريح (ومضات وأبيات) ٢٠٠٣ ١٤٣٠/٠٢/٢٩هـ

قال ~ :

غـــادرتْ أرضـــي طالـــبٍ للمعـــاني

ومِــن غــيرْ حقّــه طالــبَ الــربح خــسرانْ

يـــوم أدركتنـــا عاديـــات الزمـــانِ

في ســـاحةٍ مـــا بـــين مقنـــا وعمّـــانْ[1]

في فـــترةٍ ســـاد الكـــساد المكـــانِ

عــمّ الكــبير وســاير النــاس مــا كــانْ

مِـــن الـــبلاء والجـــور حـــل الهـــوانِ

وجــدت مــن حــولي مــن النــاس حــيرانْ

الكـــل مـــن مـــا بـــه عليـــلٍ يعـــاني

مَــن الــرتَم[2] قوتــه بــدا الــصبح رتمــانْ

---

(١) مقنا بلدة في شمال غرب السعودية ، وعمّان عاصمة الأردن .

(٢) الرتم شجر تأكله الغنم فيُسكر حليبها فيقال له رتمان أو مرتوم .

قال ~ :

بـــين الطبيـــقْ وبـــين تيمـــاء تجوّلـــتْ

وقـــتٍ طويـــلٍ مـــن شـــبابي قـــضيتهْ[1]

في أرضـــها للخـــصم كيـــده تأملـــت

والجـــاني المجـــرم بذنبـــه رميتـــه

مـــع لابـــةٍ تعـــرف مـــن القـــول مـــا قلـــت

تـــسلك ســـلوكي كـــل دربٍ مـــشيته

أخلـــصت للّه في كتابـــه تأولـــت

وقـــت العبـــادة مـــا تيـــسر قريتـــه

للـــدين والـــدنيا ترسّـــمت مـــا مِلـــت

أطلـــب ثـــوابٍ طالمـــا احتريتـــه

- - - - - - - - - - - - - -

(١) تيما: محافظة تيماء تقع في الجزء الشمالي الغربي من الجزيره العربية، تبعد حوالي ٢٦٥ كم شرقي مدينة تبوك .

للـــــولي ربـــــي عملـــــت وتعاملـــــت

هـــو ملجئـــي في كـــل وقـــت دعيتـــه

اســـتغفر اللّه كـــل ذنـــب أنـــا نلـــت

يغفـــر لـــي الزلـــه وذنـــبٍ جنيتـــه

و قـال ~ :" البارحـة أمـسيت أفكـر في إقبـال النـاس علـى الـدنيا وتهـاونهم بـأمور الـدين وغفلـتهم عـن أوامـر اللّه، وانـصياعهم إلى الـدنيا في غفلـة وإعـراض عن اللّه " :

البارحـــه هاجـــت علـــي الهـــواجيس
أمـــسيت ســـهرانٍ بالأفكـــار محتـــاس

تعــوذت مــن شــر الــشياطين وإبلــيس
اللـــي قعـــد للخلـــق في كـــل مـــتراس

ليـــلٍ ســـرى زادت علـــيّ الأحاســـيس
مـــستنكرٍ مـــا يعملـــه معظـــم النـــاس

بيّـــاع دينـــه بالهـــل والتفـــاليس
خـــسران بالـــدنيا ودينـــه للافـــلاس

قال ~ : "رأيت السحب الكثيفة تدنو من فوق الجبال قادمة من الغرب متجه نحو الشرق وكانت الرياح الغربية تسوقها ، فتوقفت وتأمّلت لها أنها -إن شاء الله- ستمطر على نجد وخاصة القصيم فقلت:"

بحـــرٍ مــــن المـــيّ النقـــيّ المقطّـــر
أقفـــت بـــه الغربـــي تقـــود وتـــسوقه

علـى (القـصيم) أمـست مزونـه تمطّـر
فـــوق النخيـــل اللـــي يـــدلّي عذوقـــه

اللّه ســـقاه الوســـم فوقـــه تقطّـــر
لمْـــا ارتـــوت أرضـــه ومُجْمـــل عروقـــه

مــن بحــر جــدة ســار شــرق وتــشطّر
ممطـــرن نجـــد لمـــا حـــدود لوقـــه

يـــستاهل المـــي العـــذي المعطّـــر
اللـــي ثمرهـــا كـــل عـــامٍ نذوقـــه

وقال ~ -في موقف تعرض له في سفره المهلك من الشمال إلى القصيم- :

غِبَّ الضما وردت بسيرٍ طويله
أدليت دلوي مير قصرت حباله[1]

نعيت نفسي من ضماها عليله
ترد المهالك لو بدا له زواله

نزلت فيها بعد فقد الوسيله
يوم ارتويت وقربتي طاب فاله

صعدت منه بحمل ميٍّ ثقيله
رغم السلامة فيه صعبٍ مناله

كدّت أتردى بعد حيلٍ وحيله
لولا العناية من عزيز الجلاله

---

(١) غب: الغب بالكسر: عاقبة الشي وآخره.

الحمـــــد للّه كـــــم كـــــربٍ يزيلـــــه

ويبدّلـــــه باليـــــسر يجـــــري بدالـــــه

قال ~ : " مناسبتها/ مناجاة للقلب والمواساة لهداه، ليكون أقوى من الصلب، مهما جاه من البلاء والمعاناة " :

نسيتْ يا قلبي همومكْ وبلواكْ
أسلى وتسلى ما بقى من لياليكْ

أودع شبابك بالرضا ربك أرضاك
لعل ربك من بلاياك ينجيك

أصبر وصابر كان كبرت بلاياك
واعرف ترى المولى عليها يكافيك

احذر صديقٍ في مساعيه عنّاك
يبدي المودة مير فعله يأذّيك

كم مرة خادعك والمُرّ أسقاك
ما تنتبه لو كان بالسم يسقيك

بنت الفريح (ومضات وأبيات) ٠٠٣
١٤٣٠/٠٢/٢٩هـ

لا تنخـــدع بـــاللي مـــن المكـــر يبـــداك

تـــرخص لـــه الغـــالي وهـــو بـــه يعنّيـــك

اللـــــــــــي يهمـــــــــــه وِد ذولا وذولاك

مـــا كـــان في فعلـــه صـــديق مـــصافيك

إن قلـت لـه اعـرف مـع النـاس ممـشاك

اتبـــع طريـــق الـــدين ربـــك يعافيـــك

يبـــدي ســـروره شـــاكرٍ لـــك مزايـــاك

يرخـــي لـــك المـــسمع وهـــو مـــاكرٍ فيـــك

وإن ســـــرت في دربــــه إلى الــــشين ودّاك

وإن ســـرت رشـــدك فـــلا هـــو يماشـــيك

خـــيره بعيـــد وقطـــر وبلـــه تعـــدّاك

وشـــرّه قريـــب ويـــن مـــا رحـــت يتليـــك

يـــا ليـــتهم بالقلـــب يرمـــو بمرمـــاك

ويـــا ليـــتهم يالقلـــب عَرَفـــوا مرافيـــك

يالقلـب مـن سـن الـصبا هـذي منـاك

سـعيت جهـدك لـين حققـت أمانيـك

واليـوم تزفـر ضـايقٍ مـن خطايـاك

عيـد الحـساب وربنـا مـا يخليـك

يالقلـب كـم عـذبتني في مجـاراك

تهـوى الـصعود ومجهـدٍ مـن يجاريـك

ترغـب تمـام الأمـر هـذا وهـاذاك

لـو كـان مـن دونـه متاعـب تناحيـك

يالقلـب مـن مثلـك يـسوّي سـواياك

تعبـان يـا قلـبي وأنـا متعـبٍ فيـك

في كـل عمـري سـاير في مراعـاك

إلى متـى يالقلـب أببتـل أراعيـك

يالقلـب هـذا حـامي الجـور يـصلاك

مـا تعتـبر لـو كـان نـاره تـصاليك

بشد الفريح (ومضات وأبيات) ٠٠٣ ١٤٣٠/٠٢/٢٩هـ

فكّــر قليــل ولازم العقــل مــسعاك

لا تنعطـف فـالعطف يفـسد مـساعيك

كــن حــازمٍ فـالحزم يحمــي قـضاياك

وأنــص الــصواب ولا تبــدل مباديــك

يالقلـب طبـت وطـاب طيـب محاكـاك

للحــق أنــا يالقلــب لازم أحاكيــك

رضـيت بـك يالقلـب وأرغـب مراضـاك

ولازلــت أنــا يالقلــب دومٍ أحييــك

والحمـــد للّه يـــوم وردت مطايـــاك

مـــواردٍ كانـــت قـــديمٍ تعنّيـــك

قال ~ : " مناسبتها/ أنني كنت بالمدينة المنورة وعيالي بالطائف وعندما قدموا المدينة ورأيتهم وارتاحت نفسي بوجودهم قلت هذه الأبيات " :

ياما حلا يا هيه والشمل ملتمْ

القلب يَسعَد في مشاهد عياله

هذا الجدار اللي بنيناه لا تمْ

لا شك هو ضافٍ علينا ضلاله

الكل منهم يجلي الحزن والغمْ

إن ساعد الله بارزٍ في مجاله

سعادةٍ للأبْ و الاخو والعمْ

وأمه وجيرانه وجدّه وخاله

يمكن جروح القلب فيهم تلائمْ

بقدرة المولى عزيزٍ جلاله

اللـــي وصـــل رحمـــه كـــريمٍ مكـــرّمْ

واللـــي يريـــد الخـــير حتمـــاً ينالـــه

لا بـــد مـــن يـــوم مزونـــه تـــرزّمْ

علـــى بـــلادي ســـايلاتٍ جبالـــه

والحمـــد للّه صـــفوة العـــرق والـــدمْ

أصـــلٍ أصـــيلٍ بـــالغٍ بالأصـــاله

قال ~ : " مناسبتها/ بسبب الفراغ الذي شعرت به عندما سافر أخوي من عندي قلت " :

حـــنينْ قلـــبي لجّ بـــأرض الجزيـــره
مـــن يـــومْ رحتـــوا والحـــنين متواصـــل

يقـــولْ مـــا يملـــى حيـــاتي بغـــيره
محمـــد اللـــي للقطـــوعين واصـــل

محمـــد اللـــي لـــه مزايـــا كـــثيره
مهمـــا مدحتـــهْ قيـــل تحـــصيل حاصـــل

قلـت: هـذه الأبيـات بمـا فيهـا مـن محبـة ونـصائح وجهها إلى نسيبه أبو علي عبدالله بن علي السلامة :

يـــابو علـــي ودّي لكـــم بالـــسعادة

اللّه يمـــــتّعكم ســـــنينٍ عديـــــده

فيهـــا الـــذراري والهنـــى والنجـــادة

والـــصالح الأصـــلح لـــك اللّه يريـــده

يـــابو ســـلامة إن تريـــد الزيـــادة

فـــالزود بالطاعـــة وصـــدق العقيـــده

والعلـــم نـــورٍ في طريـــق العبـــادة

واللـــي يريـــد العلـــم ربـــي يزيـــده

وصـــلاة ربـــي عِـــد ولـــد الجـــرادة

وإعـــداد مـــا ســـبّح بحمـــده عبيـــده

وإعـــداد مـــن يـــسعى لغايـــة مـــراده

وإعـداد مـا هـزّ الهـواء مـن جريـده

وإعـداد مـن يـسعى على كـسب زاده
وإعـداد مـن يـسعى علـى مـا يريـده

علـــى نـــبيٍ نـــوّر الله فـــؤاده
وأعطـاه غفـرانٍ وحكمـه مديـده

قال ~ : "مناسبتها / بروز ابني محمد وكرمه بالنفس والنفيس في مواضع ذلك".

هــذا الــذي شــفته بنفــسي بَــرَزّ لــي
مــن ابــنيَ الأكــبرْ تليــدٍ علــى الجــودْ

بكــل مــا يملــك كــريمٍ وجــزلِ
يزيــد مــا جالــه مجــال علــى الــزود

يهــوى المكــارم بالأصــاله يغــزلِ
مــا غــازل الــشبان زينــات الخــدود

هــو الــتراث و للمكــارم يعــزلِ
نــورٍ يعــزل الليــل كالــصبح محمــود

يــومٍ بــدا دوره لعــب وارتجــز لــي
هــب الهــوا لــه بالمكــارم هــوا النــود

سمــو نفــسٍ حاربــتْ كــل هــزلِ
ينبــوع مــسكٍ يثمــر الــورد والعــود

فحـلٍ طمـوح مـن المحاسـن كَنَـز لـي

كنـزٍ كـبيرٍ نالـه الأهـل وجـدود

(محمـد) اللـي للمعـالي قفـز لـي

حُـرٍ بنـى وكـره علـى العـز وسـدود

ورث الـشهامة مـن جـدودٍ وأزلِ

رَبَـتْ بـه الرفعـه علـى كـل منقـود

الحمـد للّه كـل سـيرٍ ونـزلِ

وإعـداد مـا غـرّد علـى الغـصن غـرّود

قـال ~ : " ابنـي إبـراهيم فيـه أكثـر مـن ميـزة، كـريم وله من الجراءة والإقدام أكثر ممـا يوصف، لا يعـرف الخـوف، وإذا قـرر نفّـذ، و بَـرٌّ بمـن حولـه مـن قريب أو بعيد ".

(إبــراهيم) مــن سِــن الطفولــهْ عرفنــاهْ

رَجــــلٍ عــــزومٍ مايهــــاب العوايــــق

لــــه همـــةٍ يحتاجهـــا طالـــب الجـــاه

ومـــــن المفــــاخرْ جلّهــــا والــــدقايق

بـــــرٍ بأهــــل بيتــــه مــــن الخــــير أولاه

أكثــر مــن الــلازم مــن الخــير فــايق

مــن كثـر مـا يعطـي مـن أمـوال مـولاه

أطفـــى لهـــب نـــيران شـــر الحرايـــق

مِــنْ عــاش بالــدنيا عرفــه لــه مزايــاه

فيــه الكــرم والجــود مــا كــان لايــق

زيـــنٍ علـــى زيـــنٍ حـــصل مـــا تمنّـــاه

حِـسنَ الـسلوك وحِـسنْ تلـك الوشـــايق

قال ~ : "لقد أثار اهتمامي ابني (علي) ببره بي واهتمامه بإخوانه وجميع أهل البيت، فجزاه اللّٰه عن الجميع خير الجزاء لذا أقول":

أهنيـــكْ باليقظـــهْ وبـــرّك بأبيـــك

يـــا(علـــي) مـــن مثلـــك بهالزمـــانِ

(أبـــا الـــبراء) بحـــسنْ بـــرّك أهنّيـــك

مِـــن ســـار ســـيرك يـــستحق التهـــاني

أنـــا أشـــهد إنـــك متجـــه نحـــو باريـــك

اللّٰه يهيـــئ لـــك بلـــوغ الأمـــاني

اللّٰه ينـــوّر لـــك بليلـــك مـــساريك

اللـــي وهبـــك الموهبـــة والإحـــسانِ

لعـــلْ مـــن حولـــك بفعلـــك يباريـــك

يـــسلك ســـلوكك يـــوم آن الأوانِ

عرفــتْ مــا قلتــه دليــل الوفــاء فيــك

عبّـــرت عمّـــا بالـــضمير الجنـــانِ

أشـــكر لـــك المـــولى عوينـــك وهاديـــك

اللـــي وهـــب لـــي مـــن احـــسانه عطـــاني

اللّه مـــــن كـــــل البلايـــا يعافيـــــك

ويقيـــــك زلاّت االقـــــدمْ واللـــــسانِ





الخاتمة

الخاتمة

وبعد... فهذه سيرة والدي ~ وصور مختلفة من حياته الحافلة بالجد والعطاء، وضعتها في نسقها التاريخي، مستعيناً -بعد الله- بما رأيت وسمعت وقرأت عنه في حياته وبعد وفاته، ولا أزعم أني أتيت على كل مافيها، بل إن ما ذكرته في هذا الكتاب هو جزء بسيط من تلك الرحلة الطويلة التي امتدت على مدى اثين وثمانين عاماً، عاشها والدي ولم أدرك منها إلا الربع،.. والربع قليل.

سطّرت ذلك وفاءً لوالدي ~ ، وطمعاً في أن أدرك شيئاً من برّه بعد وفاته؛ بتذكير القارئ أن يترحّم عليه ويدعو له بالمغفرة.

كما أرجو أن يكون عملي هذا إسهاماً في الدعوة والتربية لأبناء أسرتي خاصة، ولكل من قرأ

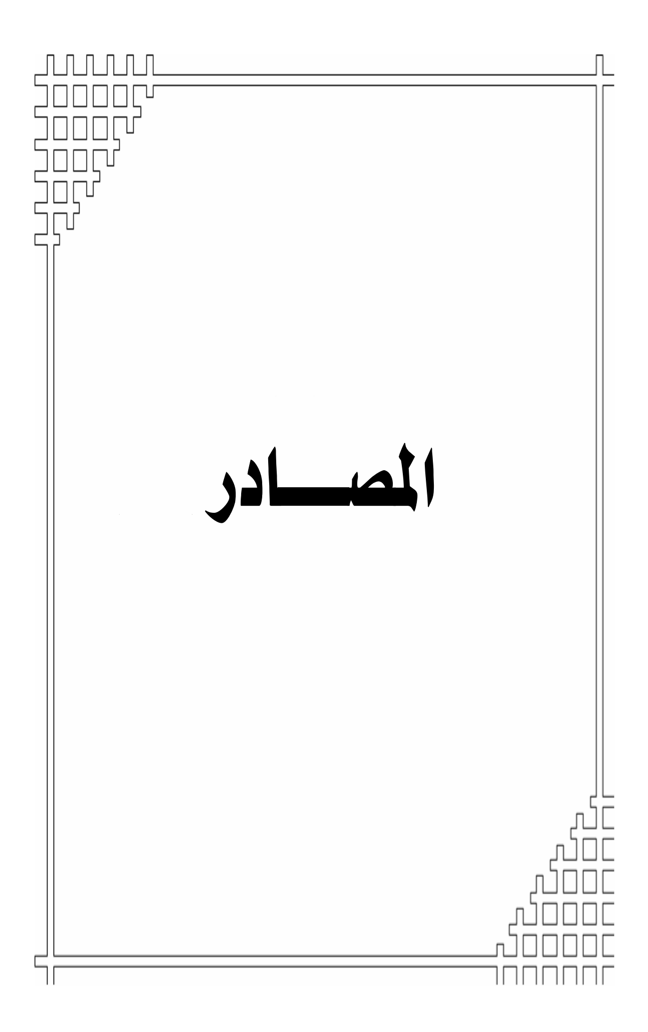
كتابي عامة، وقد قيل: "تراجم الرجال مدارس الأجيال"، كما أن هذا الكتاب وأمثاله هو إرث للأجيال القادمة، من حقهم أن يطّلعوا عليه وأن يستفيدوا منه، وهو أمانة يتعين أداؤها ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[1].

وعندما يختتم الكتاب وينتهي الحديث أرجو أن تكون قد تشّكلت في الأذهان تلك الصورة البهية التي كنت أراها رأي العين، وليس راءٍ كمن سمع... أو قرأ.

وصلى الله على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٣).



المصادر

المصـــادر

أولاً: المخطوطات والوثـائق:

١- مخطوطات ووثائق كثيرة بخط يد الوالد ~ .

٢- تسجيلات صوتية للوالد ~ ، فيها مواعظ وأشعار.

٣- معلومات شهفية حصلت عليها من والدتي -أمد الله في عمرها- ومن جمع من الاخوة والأقارب من أبرزهم أخي الدكتور محمد وأخي الأستاذ الأديب إبراهيم وأخي الأستاذ علي وأخي الدكتور صالح وأبناء العم الأستاذ عبدالمحسن والشيخ ناصر والشيخ فريح ~ .

٤- وثائق ورسائل أمدّني بها أخي الدكتور صالح الفريح.

٥- لقاء مسجّل مع فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيّل.

٦- لقاء مسجّل مع سعادة الأستاذ الدكتور محمد بن علي العقلا.

٧- وثيقة كتبها الشيخ سعيد بن حمود المطرفي.

٨- وثيقة كتبها الشريف صادق بن عبدالمعين آل يحيى.

٩- وثيقة كتبها الشيخ الدكتور يوسف بن عبدالله الوابل.

١٠- وثيقة كتبها الشيخ الدكتور محمد بن سعيد القحطاني.

ثانياً: الكتب والمطبوعات.

١- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله البسام.

٢- علمـاء آل سـليم وتلامـذتهم وعلمـاء القـصيم، صالح العمري.

٣- من مشاهير الجزيرة العربية، عبدالكريم الحقيل.

٤- البكيرية، علي بن سليمان المقوشي.

٥- معجم مدينة الرياض، خالد السليمان.

٦- البدائع، عبدالله بن محمد العبيد.

٧- معجم مؤرخي الجزيرة العربية في العصر الحديث، عبدالكريم الحقيل.

٨- مجلة الدارة، العدد ٢، السنة ٣٠، عام ١٤٢٥هـ.



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

طبع هذا الكتاب على نفقة الدكتور صالح بن عبد الله الفريح (جزاه الله خيراً)

ومضات وأبيات

وبعد... فهذه سيرة والدي رحمه الله وصور مختلفة من حياته الحافلة بالجد والعطاء، وضعتها في نسقها التاريخي، مستعيناً -بعد الله- بما رأيت وسمعت وقرأت عنه في حياته وبعد وفاته، ولا أزعم أني أتيت على كل مافيها، بل إن ما ذكرته في هذا الكتاب هو جزء بسيط من تلك الرحلة الطويلة التي امتدت على مدى اثين وثمانين عاماً، عاشها والدي ولم أدرك منها إلا الربع،.. والربع قليل.

سطّرت ذلك وفاءً لوالدي رحمه الله وطمعاً في أن أدرك شيئاً من برّه بعد وفاته؛ بتذكير القارئ أن يترحّم عليه ويدعو له بالمغفرة.

كما أرجو أن يكون عملي هذا إسهاماً في الدعوة والتربية لأبناء أسرتي خاصة، ولكل من قرأ كتابي عامة، وقد قيل: "تراجم الرجال مدارس الأجيال"، كما أن هذا الكتاب وأمثاله هو إرث للأجيال القادمة، من حقهم أن يطّلعوا عليه وأن يستفيدوا منه، وهو أمانة يتعين أداؤها { فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه}.

وعندما يختتم الكتاب وينتهي الحديث أرجو أن تكون قد تشّكلت في الأذهان تلك الصورة البهية التي كنت أراها رأي العين، وليس راءٍ كمن سمع... أو قرأ.

تأليف

بشير بن عبد الله الفريح